شرح
تطهير الجنان والأركان
عن
درن الشرك والكفران

للعلامة القاضي

أحمد بن حجر آل بوطامي

شرح

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

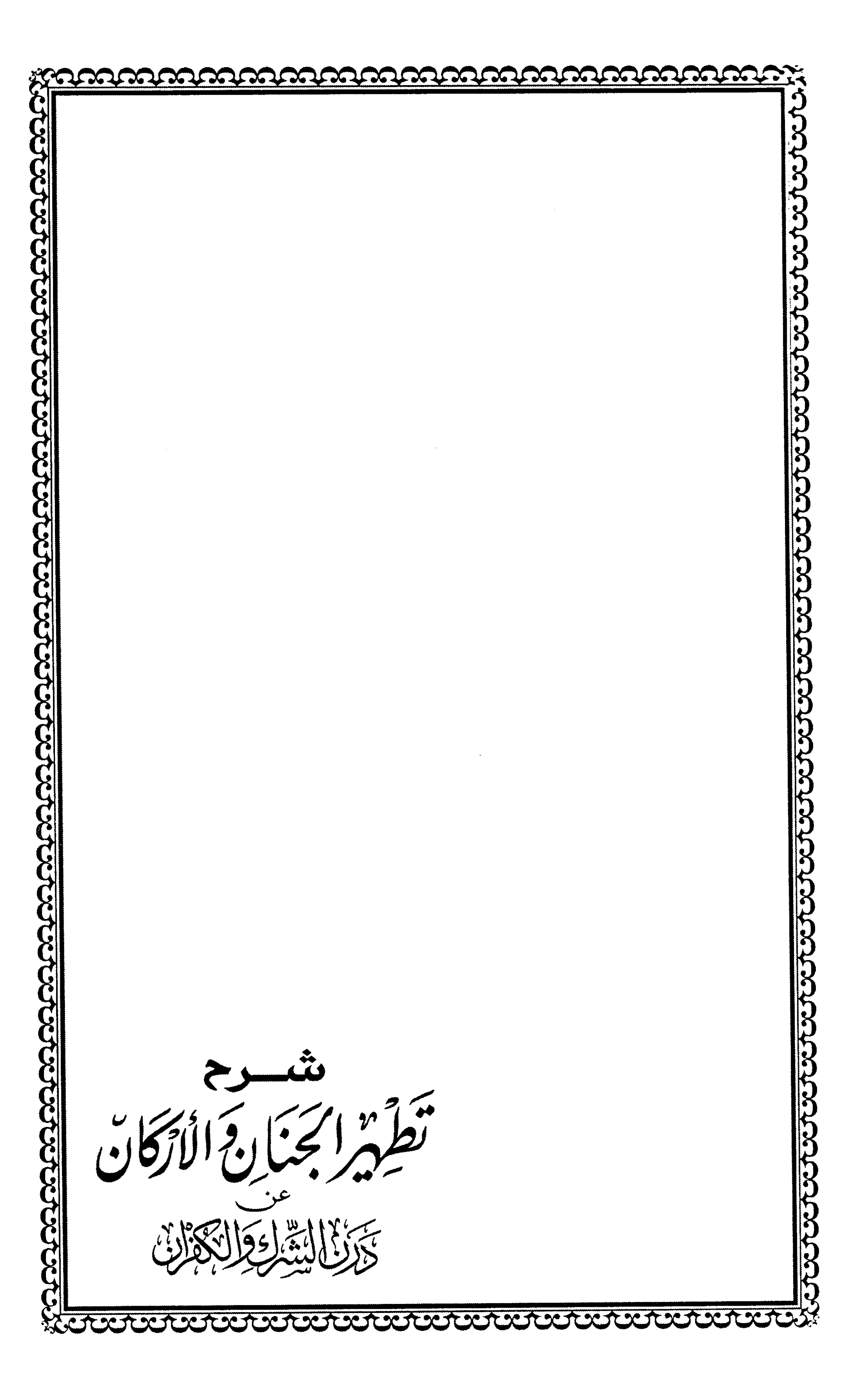


دار الفرقان المصرية

إصدارات

أبي عبد الرحمن السلفي

الفلسطيني



شرح
تطهير الجنان والأركان
عن
درن الشرك والكفران

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى للدار

١٤٣٢هـ

رقم الإيداع: ٧١٥٢/ ٢٠١١



جمهورية مصر العربية - القاهرة

جوال: ٢٢٤٢٢٧٨ ٠١١١ ٠٠٢ - ٢٤٤٧٤٥٦ ٠١١١ ٠٠٢

للمراسلة والتحدث عبر الماسنجر:

dar-al-maarig@hotmail.com

شرح

تطهير الجنان والأركان

عن

درن الشرك والكفران

للعلامة القاضي

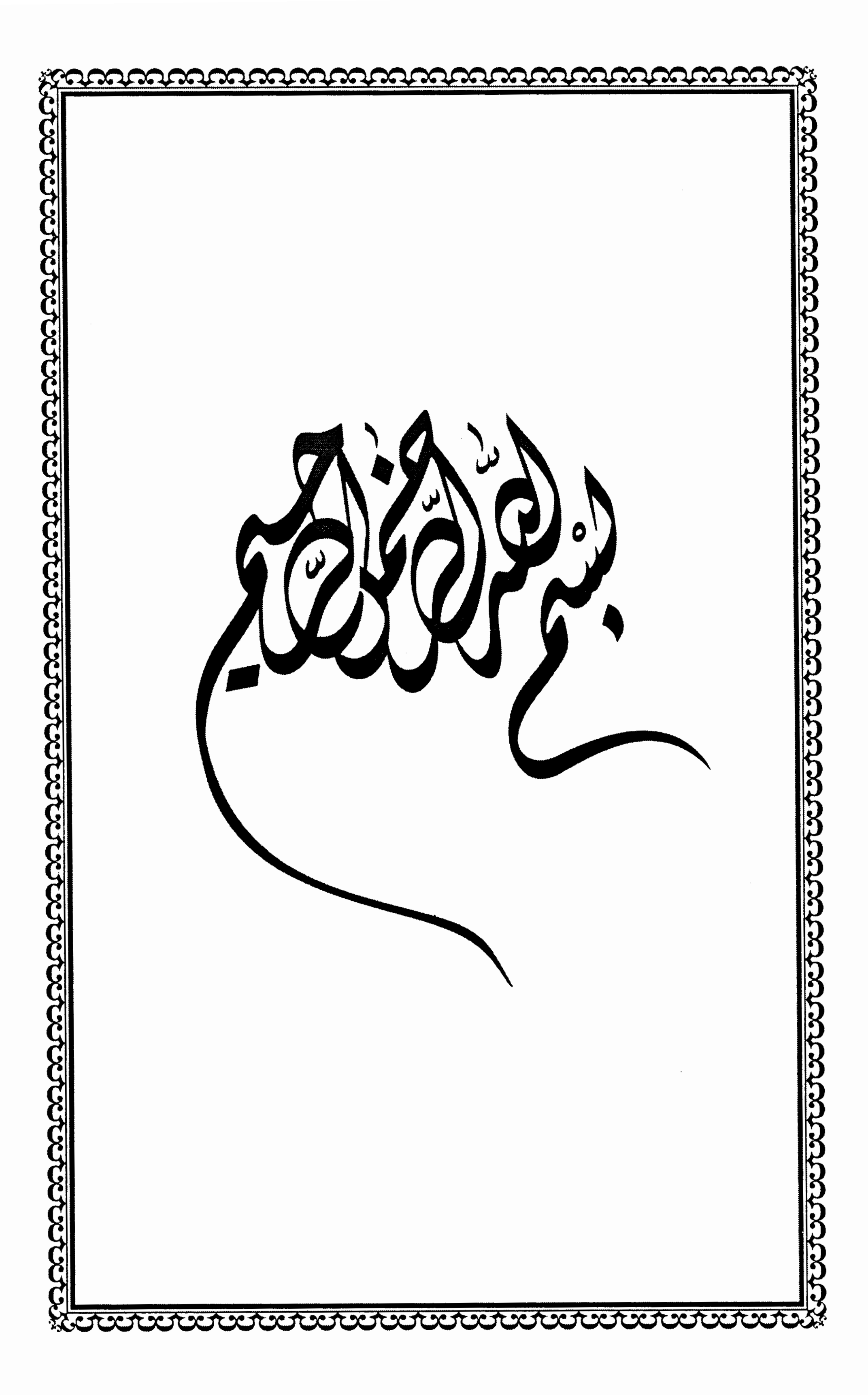
أحمد بن حجر آل بوطامي

شرح

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

دار المعراج


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ الشَّارِحِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمْرَانَ: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠- ٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،

وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

● **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ مِنَ الرَّسَائِلِ العَظِيمَةِ فِي عِلْمِ التَّوْحِيدِ وَالعَقِيدَةِ: الرِّسَالَةَ الَّتِي كَتَبَهَا العَلَّامَةُ القَاضِي أَحْمَدُ بْنُ حَجَرٍ آل بُوطَامِي الْبَنْعَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَعِنْوَانُهَا: «تَطْهِيرُ الْجَنَانِ وَالْأَرْكَانِ عَنْ دَرَنِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرَانِ»، وَقَدْ قَرَّرَ فِيهَا رَحِمَهُ اللَّهُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّوْحِيدِ وَأَقْسَامِهِ، وَذَكَرَ بَعْضَ الشُّبُهَاتِ الَّتِي تَعَلَّقَ بِهَا بَعْضُ الزَّائِغِينَ، وَدَحَضَهَا بِكِتَابِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ الْأَمِينِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدِ اسْتَبْطَنَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ كَثِيرًا مِمَّا ذَكَرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي بَعْضِ رَسَائِلِهِ وَكُتُبِهِ، كَمَا فِي «**الْجَامِعِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ**»، وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ مِنَ الرَّدِّ عَلَى الشُّبُهَاتِ الَّتِي أَتَى بِهَا الْقَبْرِيُّونَ وَالْخُرَافِيُّونَ وَالْمُشْرِكُونَ فَدَحَضَهَا رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «**كَشْفِ الشُّبُهَاتِ**».

وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِقِرَاءَةِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَشَرْحِهَا، وَالتَّعْلِيقِ عَلَى مَوَاضِعَ مِنْهَا، فِي ثَلَاثَةِ مَجَالِسَ بِالْمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ بِسُبْكِ الْأَحَد؛ لِتَكُونَ تَوْطِئَةً بَيْنَ يَدَيْ دَرْسِ الِاعْتِقَادِ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ فِي مَبْسُوطَاتِ عُلَمَائِنَا مِنْ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ، فِي زَمَانٍ مَاجَتْ فِيهِ الدُّنْيَا بِالْفِتَنِ مَوْجَ الْبَحْرِ، عَسَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِذَلِكَ، وَأَنْ يُثَبِّتَنَا وَأَهْلَ الْحَقِّ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى

نَلْقَى وَجْهَهُ الْكَرِيمَ، وَاللَّهُ الْهَادِي وَالنَّصِيرُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَبَوَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين.

وكتب

أَبُو عبد اللَّه محمد بن سعيد رسلان

سُبْكُ الْأَحد: ٥ من ربيعٍ الآخِرِ ١٤٣٢ هـ

١٠ من مارس ٢٠١١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

خُطْبَةُ الْكِتَابِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالْعِبَادَةِ، وَبِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَوَعَدَنَا بِالْحُسْنَى مَعَ الزِّيَادَةِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الْبَالِغِ مُنْتَهَى الشَّرَفِ وَالسِّيَادَةِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ مَنَحَهُمُ اللَّهُ الْعِزَّةَ وَالسَّعَادَةَ.

● **أَمَّا بَعْدُ:**

فَلَا زَالَ الإِسْلَامُ مُنْذُ أَنْ طَلَع فَجْرُهُ مُحَارَبًا، حُورِبَ مِنْ قُرَيْشٍ وَسَائِرِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَمِنَ الْيَهُودِ وَالْفُرْسِ وَالرُّومِ وَالتَّتَرِ وَالصَّلِيبِيِّنَ، وَكَتَبَ اللَّهُ النَّصْرَ الْمُؤَزَّرَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذَلَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَلَكِنَّ الْأَعْدَاءَ -وَإِنْ خَذَلَهُمُ اللَّهُ- مَا فَتِئُوا يَحِيكُونَ الْمُؤَامَرَاتِ وَالدَّسَائِسَ، وَيَبُثُّونَ دِعَايَاتِهِمُ الضَّالَةَ ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَتَعَدَّدَتْ مَقَالَاتُهُمْ، وَتَنَوَّعَتْ مَذَاهِبُهُمْ، وَانْتَسَبَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ؛ لِأَجْلِ أَنْ تَرُوجَ عَقَائِدُهُمْ وَيَتِمَّ لَهُمُ الْقَضَاءُ عَلَى الْإِسْلَامِ -لَا سَمَحَ اللَّهُ-.

وَمِنْ أَشَدِّهَا فَتْكًا، وَأَخْبَثِهَا مَكْرًا، وَأَكْثَرِهَا رَوَاجًا: دِعَايَةُ

الْمُخَرِّفِينَ وَالْقُبُورِيِّينَ وَالصُّوفِيَّةِ الْمُبْطِلِينَ[1] الَّذِينَ لَمْ يَدَّخِرُوا وُسْعًا فِي نَشْرِ الْبِدَعِ وَالضَّلالَاتِ بِاسْمِ الدِّينِ، وَالدِّينُ مِنْهَا بَرِيءٌ.

---

(١) لَا الْمُحِقِّينَ؛ لِأَنَّ الصُّوفِيَّةَ قِسْمَانِ: قِسْمٌ مُحِقُّونَ، وَهُمُ الَّذِينَ تَقَيَّدُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَمْ يَتَجَاوَزُوهُمَا، وَكُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّهُمْ غَلَّبُوا جَانِبَ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا(*).

وَصُوفِيَّةٌ مُبْطِلُونَ: وَهُمُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَيَتَعَدُّونَ حُدُودَهُمَا، وَيَأْتُونَ بِعَقَائِدَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَبِأَعْمَالٍ مُخْتَرَعَةٍ يَبْرَأُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ مِنْهَا؛ كَاعْتِقَادِهِمْ بِوِحْدَةِ الْوُجُودِ، وَاخْتِرَاعِهِمْ أَذْكَارًا وَاحْتِفَالَاتٍ يَمْتَزِجُ فِيهَا الذِّكْرُ بِالرَّقْصِ، وَيَخْتَلِطُ فِيهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَتُدَقُّ فِيهَا الطُّبُولُ، وَتُنْشَرُ فِيهَا الْأَعْلَامُ، وَيَأْتُونَ بِمَخَارِيقَ، كَضَرْبِ أَنْفُسِهِمْ بِالسِّكِّينِ وَالْخِنْجَرِ وَأَكْلِ النَّارِ! اللَّهُمَّ اهْدِ عِبَادَكَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

(*) إِنْ كَانَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ يُرِيدُ بِالصُّوفِيَّةِ الْمُحِقِّينَ: أَهْلَ الزُّهْدِ مِنَ الْأَوَّلِينَ، فَأُولَئِكَ تَقَيَّدُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَمْ يَتَجَاوَزُوهُمَا، وَهُمْ أَهْلُ سُنَّةٍ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ، وَلَيْسُوا مِنَ الصُّوفِيَّةِ -بِالْمَعْنَى الَّذِي يَنْصَرِفُ إِلَيْهِ اللَّفْظُ- فِي شَيْءٍ.

وَتَسْمِيَةُ الْأَشْيَاءِ بِأَسْمَائِهَا الْحَقَّةِ يَنْفِي الْإِجْمَالَ وَالِالْتِبَاسَ، حَيْثُ صَارَ التَّصَوُّفُ سَبِيلًا مَمْهُودَةً وَدَرْبًا مَسْلُوكًا لِلشِّرْكِ بِاللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

كَمَا دَعَوْا إِلَى عِبَادَةِ الْقُبُورِ وَحَسَّنُوهَا لِلْجَمَاهِيرِ بِشَتَّى الأَسَالِيبِ، مِنْ بِنَاءِ الْقِبَابِ وَالأَضْرِحَةِ عَلَيْهَا وَتَزْوِيقِهَا، وَوَضْعِ السُّتُورِ النَّفِيسَةِ عَلَيْهَا لِجَذْبِ النَّاظِرِينَ وَالزَّائِرِينَ إِلَيْهَا، وأَنْ تكُونَ تِلْكَ الْقِبَابُ مَحَلَّ الدَّهْشَةِ وَالإِعْجَابِ، وَجَعَلُوا السَّدَنَةَ حَوْلَهَا لِيَطُوفُوا بِالزَّائِرِينَ حَوْلَ الضَّرِيحِ، وَيُعَلِّمُوهُمْ كَيْفَ يَدْعُونَ الأَوْلِيَاءَ، وَيُنْزِلُونَ بِهِمْ حَاجَاتِهِمْ؛ بَدَلًا مِنَ اللُّجُوءِ إِلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَمَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ.

وَمِنَ اخْتِرَاعِ حِكَايَاتٍ سَمِجَةٍ عَنِ الْقُبُورِ، وَكَرَامَاتٍ مُخْتَلَقَةٍ لَا تَمُتُّ إِلَى الصِّحَّةِ بِنَصِيبٍ، وَمِنْ إِنْشَادِ قَصَائِدَ تَطْفَحُ بِالاسْتِغَاثَاتِ وَالنِّدَاءَاتِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِخَالِقِ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ.

وَمِنْ تَأْلِيفِ كُتُبٍ تَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، سُبِكَتْ فِي قَالَبِ حُبِّ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الشُّفَعَاءُ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ، وَالْوَاسِطَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ تَعَالَى. وَيُعَزِّزُونَ كَلَامَهُمْ بِحِكَايَاتٍ عَنِ الصَّالِحِينَ لَيْسَ لَهَا حَظٌّ مِنَ الصِّدْقِ، وَبِأَحَادِيثَ مَوْضُوعَةٍ، كَحَدِيثِ[1]: «لَوِ اعْتَقَدْتُمْ بِحَجَرٍ لَنَفَعَكُمْ»[2]، وَبِأَقْيِسَةٍ فَاسِدَةٍ، وَبِمَا

---

(١) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «الْمَنَارِ الْمُنِيفِ فِي الصَّحِيحِ وَالضَّعِيفِ» (ص: ١٣٩): «هُوَ مِنْ وَضْعِ الْمُشْرِكِينَ عُبَّادِ الأَوْثَانِ».

(٢) هَذَا الْحَدِيثُ صَرِيحٌ فِي الْوَثَنِيَّةِ الْمَحْضَةِ، يُنَادِي عَلَى قَائِلِهِ بِأَنَّهُ مِنْ أَشَدِّ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ، وَمِنَ الدُّعَاةِ إِلَى عِبَادَةِ الأَحْجَارِ وَالأَوْثَانِ=

لَا يَدُلُّ عَلَى مَطْلَبِهِمْ مِنْ آيَةٍ أَوْ حَدِيثٍ صَحِيحٍ، كَمَا سَتَرَى فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَعَمَّ هَذَا الدَّاءُ الْوَبِيلُ سَائِرَ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ عَرَفُوا التَّوْحِيدَ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، وَبَعْضُ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ كَالْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ؛ بِفَضْلِ دَعْوَةِ عُلَمَائِهَا الْمُخْلِصِينَ وَمُلُوكِهَا الْمُهْتَدِينَ.

فَنَتَجَ مِنْ جَرَّاءِ تِلْكَ الدِّعَايَاتِ الضَّالَّةِ الْمُضَلِّلَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا وَنَشِطَ لَهَا الْمُبَشِّرُونَ بِالضَّلَالِ وَعِبَادَةِ غَيْرِ ذِي الْجَلَالِ أَنِ انْخَدَعَ بِهَا الْأَكْثَرُونَ، وَانْصَرَفُوا عَنْ تَوْحِيدِ الْإِلَهِ الْعَظِيمِ خَالِقِ الْأَنَامِ، وَتَحَمَّسُوا لَهَا، وَأَخَذُوا يَتَقَرَّبُونَ إِلَى قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَتَجَاوَزَ الْأَمْرُ حَتَّى تَقَرَّبُوا إِلَى الْأَشْجَارِ وَالْغِيرَانِ[1] الْمَنْسُوبَةِ إِلَيْهِمْ بِأَنْوَاعِ النُّذُورِ، وَدُعَائِهِمْ لِكَشْفِ ضُرٍّ نَزَلَ بِهِمْ، أَوْ طَلَبِ وَلَدٍ أَوْ رِزْقٍ أَوْ وَظِيفَةٍ أَوْ مَطَرٍ، مِمَّا لَيْسَ فِي قُدْرَةِ أَحَدٍ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ! وَطَافُوا بِقُبُورِهِمْ كَمَا يُطَافُ بِالْكَعْبَةِ الْمُعَظَّمَةِ، وَشَدُّوا الرِّحَالَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَمَاكِنِ الشَّاسِعَةِ بِقَصْدِ

= وَالْأَصْنَامِ! فَكَيْفَ يَرُوجُ مِثْلُ هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أُنَاسٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ!

(١) الْغِيرَانُ: جَمْعُ غَارٍ؛ وَهُوَ مِثْلُ الْبَيْتِ الصَّغِيرِ الْمَنْقُورِ فِي الْجَبَلِ.

الْحَجِّ لِتِلْكَ الْمَزَارَاتِ الْبِدْعِيَّةِ، وَأَوْقَفُوا الْأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ عَلَى تِلْكَ الْأَضْرِحَةِ الْمُقَدَّسَةِ عِنْدَهُمْ، حَتَّى إِنَّهُ قَدْ تَجْتَمِعُ فِي خَزَائِنِ بَعْضِ الْمَقْبُورِينَ أَمْوَالٌ تُعَدُّ بِالْمَلَايِينِ.

وَرَحِمَ اللَّهُ شَاعِرَ النِّيلِ «حَافِظ إِبْرَاهِيمَ» حَيْثُ قَالَ:

أَحْيَاؤُنَا لَا يُرْزَقُونَ بِدِرْهَمٍ ... وَبِأَلْفِ أَلْفٍ تُرْزَقُ الْأَمْوَاتُ

مَنْ لِي بِحَظِّ النَّائِمِينَ بِحُفْرَةٍ ... قَامَتْ عَلَى أَعْتَابِهَا الصَّلَوَاتُ

يَسْعَى الْأَنَامُ لَهَا وَيَجْرِي حَوْلَهَا ... بَحْرُ النُّذُورِ وَتُقْرَأُ الْآيَاتُ

وَيُقَالُ: هَذَا الْبَابُ بَابُ الْمُصْطَفَى ... وَوَسِيلَةٌ تُقْضَى بِهَا الْحَاجَاتُ[1]

وَإِنَّكَ لَتَجِدُ الزِّحَامَ حَوْلَ تِلْكَ الْقُبُورِ وَاخْتِلَاطَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَبُكَاءَ الْكَثِيرِينَ وَصُرَاخَهُمْ وَعَوِيلَهُمْ وَدَوِيَّ أَدْعِيَتِهِمْ.

كَمَا تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ مُدَّعِي الْعِلْمِ وَمُرَوِّجِي الضَّلَالِ يُحَسِّنُونَ لَهُمْ تِلْكَ الْأَعْمَالَ، وَيَحُضُّونَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْمُنْكَرَاتِ، مِنْ أَجْلِ نَيْلِ الْحُطَامِ،

(١) ديوان حافظ إبراهيم (ص٣١٨).

وَيَأْتِي أُولَئِكَ الْجُهَّالُ هَذِهِ الشِّرْكِيَّاتِ وَالْبِدَعَ وَالضَّلالاتِ، بِاعْتِقَادِ أَنَّهَا مِنْ صَمِيمِ الدِّينِ، وَأَنَّهَا تُقَرِّبُهُمْ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِكَوْنِهِمْ مَخْدُوعِينَ بِدِعَايَاتِ أَدْعِيَاءِ الْعِلْمِ وَرُؤَسَاءِ الضَّلالِ، وَسَدَنَةِ الضَّرَائِحِ. وَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِمَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ وَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَعْمَالَ لَيْسَتْ مِنَ الدِّينِ بِشَيْءٍ؛ بَلْ تُنَافِيهِ، وَالدِّينُ مِنْهَا بَرِيءٌ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ أَنِ يُفْرِدُوا رَبَّهُمْ بِهَذِهِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى هَؤُلَاءِ الْأَمْوَاتِ، الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَلَا حَيَاةً وَلَا مَوْتًا وَلَا نُشُورًا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَمْلِكُوا ذَلِكَ لِغَيْرِهِمْ.

وَالْعُلَمَاءُ إِزَاءَ هَذِهِ الْبِدَعِ وَالشِّرْكِيَّاتِ أَصْنَافٌ ثَلَاثَةٌ:

- صِنْفٌ يُؤَيِّدُ تِلْكَ الْبِدَعَ وَالْخُزَعْبِلَاتِ وَيَدْعُو إِلَيْهَا، وَقَدْ يَكْتُبُ وَيَنْشُرُ فِي تَأْيِيدِ مَذْهَبِهِ، لَاسِيَّمَا إِذَا كَانَتْ لَهُ مَصْلَحَةٌ مَادِّيَّةٌ.

- وَصِنْفٌ يَعْرِفُ الْحَقَّ، وَأَنَّ مَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ النَّاسِ بَاطِلٌ وَضَلَالٌ، لَكِنَّهُ يُسَايِرُ الْعَامَّةَ وَأَشْبَاهَهُمْ، إِمَّا رَجَاءً، وَإِمَّا رَهْبَةً أَوْ جُبْنًا!

- وَصِنْفٌ يُنْكِرُ ذَلِكَ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى تَرْكِ تِلْكَ الْمُحْدَثَاتِ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالتَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ.

وَبِالرَّغْمِ مِنْ كَثْرَةِ الْمُؤَلَّفَاتِ فِي هَذَا الْعَصْرِ[1] مِنَ الْمَمَالِكِ الْعَرَبِيَّةِ

---

(١) كَتَبَ عُلَمَاءُ الدَّعْوَةِ النَّجْدِيَّةِ رَسَائِلَ عَدِيدَةً فِي بَيَانِ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ، =

وَغَيْرِهَا، وَتَنَوُّرِ أَذْهَانِ الْكَثِيرِينَ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَمْ يَهْتَمُّوا بِعِلْمِ التَّوْحِيدِ، لَاسِيَّمَا تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَقَدْ يَذْكُرُ بَعْضُهُمْ فِي ثَنَايَا كِتَابِهِ سَطْرًا أَوْ سُطُورًا يَسْتَهْجِنُ هَذِهِ الْأَعْمَالَ، وَيَقُولُ: لَيْسَتْ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ، وَلَكِنَّ هَذَا غَيْرُ كَافٍ.

وَلِذَا رَأَيْتُ أَنَّ الْحَاجَةَ مَاسَّةٌ إِلَى وَضْعِ رِسَالَةٍ فِي بَيَانِ أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ، وَبَسْطِ الْكَلَامِ عَلَى تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، مُعَزَّزًا بِالْأَدِلَّةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَأَحَادِيثِ الرَّسُولِ الْعَظِيمِ ﷺ الصَّحِيحَةِ أَوِ الْحَسَنَةِ، وَدَفْعِ شُبَهِ الْمُبْتَدِعَةِ، لَعَلَّ اللَّهَ يَنْفَعُ بِهَا عِبَادَهُ.

وَلَكِنْ لِكَثْرَةِ الشَّوَاغِلِ لَمْ يَقْوَ الْعَزْمُ حَتَّى شَرَّفَنَا الشَّيْخُ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْبَكْرِيُّ السِّيلَانِيُّ، الدَّاعِيَةُ لِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ، وَالتَّمَسُّكِ بِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَالْمُحَارِبُ لِلْبِدَعِ وَالْمُحْدَثَاتِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ.

وَقَدْ ذَكَرَ لَنَا الْأَخُ الْمَذْكُورُ أَنَّهُ يُلَاقِي كَثِيرًا مِنَ الْعَنَاءِ فِي «سِيلَانَ» مِنَ الَّذِينَ يَدْعُوهُمْ إِلَى نَبْذِ الْخُرَافَاتِ وَالْبِدَعِ، وَعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أُسَجِّلَ لَهُ كَلِمَةً فِي التَّوْحِيدِ، فَسَجَّلْتُ لَهُ بِالْمُسَجِّلِ الَّذِي مَعَهُ.

فَلَمَّا انْتَهَيْتُ مِنَ الْإِلْقَاءِ، قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْحَمِيدِ: يَحْسُنُ أَنْ تَكْتُبَ

= كَمَا كَتَبَ الشَّيْخُ الصَّنْعَانِيُّ، والشَّيْخُ صِدِّيق حَسَن خَان، وَنَفَع اللَّهُ بِهَا، وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْهَا بِالنَّحْوِ الَّذِي رَأَيْتُهُ وَكَتَبْتُهُ.

هَذَا الَّذِي أَلْقَيْتَهُ، لِيَكُونَ كَرِسَالَةٍ، ثُمَّ تَطْبَعَهَا وَتَنْشُرَهَا، وَعَلَيَّ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ أَنْ أُتَرْجِمَهَا إِلَى اللُّغَةِ السِّيلَانِيَّةِ والْمَلِّيبَارِيَّةِ، وَقَدْ تَرْجَمَهَا إِلَى اللُّغَةِ الْمَلِّيبَارِيَّةِ أَخُونَا الْفَاضِلُ مُحَمَّد سَلِيم مِيرَانَ الْمَلِّيبَارِيُّ، وَطُبِعَتْ.

فَأَجَبْتُهُ إِلَى ذَلِكَ؛ رَجَاءَ الثَّوَابِ مِنَ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ، والنَّفْعِ لِسَائِرِ الْأَنَامِ، فَكَتَبْتُ الْمَوْضُوعَ وَرَاجَعْتُهُ وَهَذَّبْتُهُ، وَزِدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ الْفَوَائِدِ، وَعَلَّقْتُ عَلَيْهِ تَعَالِيقَ مُوجَزَةً، وَأَصْبَحَ رِسَالَةً مُفِيدَةً، حَاوِيَةً لِأَقْسَامِ التَّوْحِيدِ، مُؤَيَّدَةً بِالْأَدِلَّةِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، وَدَفْعِ الشُّبُهَاتِ الْبِدْعِيَّةِ، وَسَمَّيْتُهَا:

«تَطْهِيرُ الْجَنَانِ وَالْأَرْكَانِ عَنْ دَرَنِ الشِّرْكِ والْكُفْرَانِ»

أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَمُوجِبًا لِلْفَوْزِ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ.

أَحْمَدُ بْنُ حَجَرٍ

* * *



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

● **أَمَّا بَعْدُ:**

فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ أَيْ: لِآمُرَهُمْ أَنْ يُفْرِدُونِي بِالْعِبَادَةِ، وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ(١) الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مِنْ عَهْدِ نُوحٍ إِلَى عَهْدِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

* * *

---

(١) التَّوْحِيدُ(*): مَصْدَرُ وَحَّدَ يُوَحِّدُ، وَهُوَ لُغَةً: الْعِلْمُ بِأَنَّ الشَّيْءَ وَاحِدٌ، وَاصْطِلَاحًا: علْمٌ يُقْتَدَرُ بِهِ عَلَى إِثْبَاتِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ، مُكْتَسَبٌ مِنْ أَدِلَّتِهَا النَّقْلِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ، وَشَرْعًا: إِفْرَادُ الْمَعْبُودِ بِالْعِبَادَةِ، مَعَ اعْتِقَادِ وَحْدَتِهِ وَالتَّصْدِيقِ بِهَا ذَاتًا وصِفَاتٍ وَأَفْعَالًا.

(*) التَّوْحِيدُ: إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ؛ فَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ؛ أَيْ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا؛ بَلْ تُفْرِدُهُ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ؛ مَحَبَّةً، وَتَعْظِيمًا، وَرَغْبَةً، وَرَهْبَةً، وَهُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي بُعِثَ الرُّسُلُ لِتَحْقِيقِهِ، وَهُوَ الَّذِي وَقَعَ الْإِخْلَالُ بِهِ، وَالْخِلَافُ بَيْنَ الرُّسُلِ وَأُمَمِهِمْ.

أَقْسَامُ التَّوْحِيدِ

يَنْقَسِمُ التَّوْحِيدُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

- تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ.
- وَتَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ.
- وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

* * *

١ - تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ

وَهُوَ اعْتِقَادُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ خَالِقُ الْعِبَادِ وَرَازِقُهُمْ، مُحْيِيهِمْ وَمُمِيتُهُمْ.

أَوْ نَقُولُ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِأَفْعَالِهِ، مِثْلُ اعْتِقَادِ أَنَّهُ خَالِقٌ وَرَازِقٌ [١].

وَهَذَا قَدْ أَقَرَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ السَّالِفُونَ، وَجَمِيعُ أَهْلِ الْمِلَلِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ وَالْمَجُوسِ.

وَلَمْ يُنْكِرْ هَذَا التَّوْحِيدَ إِلَّا الدَّهْرِيَّةُ فِيمَا سَلَفَ، وَالشُّيُوعِيَّةُ فِي زَمَانِنَا.

- **الدَّلِيلُ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ:**

يُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْمُنْكِرِينَ لِلرَّبِّ الْكَرِيمِ: إِنَّهُ لَا يَقْبَلُ ذُو عَقْلٍ أَنْ يَكُونَ أَثَرٌ بِلَا مُؤَثِّرٍ، وَفِعْلٌ بِلَا فَاعِلٍ، وَخَلْقٌ بِلَا خَالِقٍ.

وَمِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ إِبْرَةً أَيْقَنْتَ أَنَّ لَهَا صَانِعًا، فَكَيْفَ بِهَذَا الْكَوْنِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُبْهِرُ الْعُقُولَ، وَيُحَيِّرُ الْأَلْبَابَ؟ هَلْ وُجِدَ بِلَا مُوجِدٍ، وَنُظِّمَ بِلَا مُنَظِّمٍ؟! وَكَأَنَّ كُلَّ مَا فِيهِ مِنْ نُجُومٍ وَغُيُومٍ، وَبُرُوقٍ وَرُعُودٍ، وَقِفَارٍ وَبِحَارٍ، وَلَيْلٍ وَنَهَارٍ، وَظُلُمَاتٍ وَأَنْوَارٍ، وَأَشْجَارٍ وَأَزْهَارٍ، وَجِنٍّ وَإِنْسٍ، وَمَلَكٍ وَحَيَوَانٍ، إِلَى أَنْوَاعٍ لَا يُحْصِيهَا الْعَدُّ،

---

[١] وَمَالِكٌ لِلْمُلْكِ، وَمُدَبِّرٌ لِأَمْرِهِ.

وَلَا يَأْتِي عَلَيْهَا الْحَصْرُ، هَلْ كَانَ كُلُّ ذَلِكَ بِلَا خَالِقٍ؟

اللَّهُمَّ لَا يَقُولُ هَذَا مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مُسْكَةٌ مِنْ عَقْلٍ، أَوْ ذَرَّةٌ مِنْ فَهْمٍ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَالْبَرَاهِينُ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ لَا يَأْتِي عَلَيْهَا الْعَدُّ، وَصَدَقَ اللَّهُ، إِذْ قَالَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] [٢].

---

[٢] وَهَلْ يُوجَدُ مَوْجُودٌ مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ!

لَا يَقُولُ قَائِلٌ: إِنَّهُمْ كَذَلِكَ وُجِدُوا مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ، وَلَا يَقُولُ قَائِلٌ أَيْضًا: إِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَدَمًا ثُمَّ صَارَ لَهُمْ وُجُودٌ، وَالْعَدَمُ لَا يَمْلِكُ الْوُجُودَ حَتَّى يُعْطِيَهُ غَيْرَهُ، وَالْمَعْدُومُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوجِدَ لَا نَفْسَهُ وَلَا غَيْرَهُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْمُصَادَفَةُ هِيَ الَّتِي خَلَقَتْ، فَهَذَا شَيْءٌ يَنْفِيهِ العَقْلُ بِالدَّلِيلِ الرِّيَاضِيِّ الجَازِمِ الحَاسِمِ الَّذِي لَا يُرَدُّ.

فَإِذَنْ؛ إِذَا كَانُوا لَمْ يُخْلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَإِذَا كَانُوا لَمْ يَخْلُقُوا أَنْفُسَهُمْ وَإِذَا كَانَتِ الْمُصَادَفَةُ لَمْ تُوجِدْهُمْ، فَمَنِ الَّذِي أَوْجَدَهُمْ إِذَنْ؟!

لَمَّا دَخَلَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَدِينَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِيُكَلِّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْأُسَارَى مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، وَجَدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ تَالِيًا سُورَةَ الطُّورِ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَسَمِعَ هَذِهِ الْآيَةَ، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ، وَهَذَا أَوَّلُ -وَ: أَوَّلَ- مَا دَخَلَ الْإِسْلَامُ فِي قَلْبِي». أخرجه البخاري

في الصحيح[١].

وَهُمْ بَدَاهَةً لَمْ يُخْلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَطَبْعًا لَم يَخْلُقُوا أَنْفُسَهَمْ، ولَمْ يَدَّعِ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَا مِمَّنْ قَبْلَهُمْ أَوْ بَعْدَهُمْ أَنَّهُ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ! فَمَنِ الْخَالِقُ إِذَنْ؟!

فَهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ قَائِمَةٌ لَهَا وُجُودٌ، وَلَا مَوْجُودَ مِنْ غَيْر مُوجِدٍ، وَلَا صَنْعَةَ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ، وَلَا مَخْلُوقَ مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ، فَمِنْ أَيْنَ أَتَتْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ؟!

وَلَيْسَ لِهَذَا السُّؤَالِ إِلَّا جَوَابٌ وَاحِدٌ، لَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ إِذَا تَرَكَ نَفْسَهُ إِلَّا أَنْ يُجِيبَ -إِذَا كَانَ عَاقِلًا- كَإِجَابَةِ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩].

أَمَّا الدَّهْرِيُّونَ والشُّيُوعِيُّونَ، وَمَنْ تَلَطَّخَ بِأَرْجَاسِ تَعَالِيمِهِمْ، فإِنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ وُجُودَ الإِنْسَانِ، والْكَوْنِ وَمَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الطَّبِيعَةِ، فَهِي الْخَالِقَةُ! -كَذَا يَقُولُونَ، كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ-.

مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الطَّبِيعَةَ الَّتِي يُؤَلِّهُونَهَا هِي هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ بِمَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهَا مِنْ خَصَائِصَ وَصِفَاتٍ، كَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسِ

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٤).

وَالْكَوَاكِبِ وَالْبِحَارِ وَالْأَشْجَارِ . . إلخ .

فَالطَّبِيعَةُ -كَمَا تَرَى- لَا حَيَاةَ لَهَا وَلَا عِلْمَ ولَا سَمْعَ وَلَا بَصَرَ وَلَا قُدْرَةَ وَلَا إِرَادَةَ وَلَا عَقْلَ، فَكَيْفَ أَوْجَدَتِ -الطَّبِيعَةُ الْمَزْعُومَةُ- الْإِنْسَانَ، وَهُو الْمُتَّصِفُ بِهَذِهِ الصِّفَات؟! -وَالطَّبِيعَةُ الَّتِي يَزْعُمُونَ لَا تَمْلِكُ تِلْكَ الصِّفَاتِ- .

وَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ تَهَبَ الطَّبِيعَةُ هَذِهِ الصِّفَاتِ لِلإِنْسَانِ الَّذِي بِفَضْلِ تِلْكَ الصِّفَاتِ غَاصَ أَعْمَاقَ الْبِحَارِ وَغَزَا الْفَضَاءَ وَالْكَوْاكِبَ، وَالْحَالُ أَنَّهَا -الطَّبِيعَةَ- مُجَرَّدَةٌ مِنْ كُلِّ تِلْكَ الصِّفَاتِ، وَمِنَ الْمُسَلَّمِ عَقْلًا أَنْ فَاقِدَ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ؟! فَهَؤُلَاءِ مِنْ سَخَافَتِهِمْ وَجَهْلِهِمْ وَعِنَادِهِمْ لِأَهْلِ الْأَدْيَانِ جَحَدُوا رُبُوبِيَّةَ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ، الْمُتَّصِفِ بِكُلِّ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَالْمُنَزَّهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَذَهَبُوا إِلَى خَالِقِيَّةِ الطَّبِيعَةِ الصَّمَّاءِ الَّتِي لَا تُحِسُّ وَلَا تَعْقِلُ!

وَهَؤُلَاءِ مِنَ الْمُعْتَقَدِ أَنَّ إِنْكَارَهُمْ لِلْخَالِقِ لَا يَتَجَاوَزُ اللِّسَانَ، وَلَكِنَّهُ -أَيْ: هَذَا الْإِنْكَارَ لِلْخَالِقِ الْعَظِيمِ- عِنَادٌ لِأَهْلِ الْأَدْيَانِ، وَلِيَتَسَنَّى لَهُمُ اسْتِعْبَادُ الشُّعُوبِ، وَسَلْبُ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَالِ، بِبَثِّ هَذَا الْكُفْرِ الصَّرِيحِ وَالإِبَاحِيَّةِ الْفَاضِحَةِ، والشُّيُوعِيَّةِ فِي الْأَمْوَالِ وَالأَعْرَاضِ .

وَمِمَّا يُوَضِّحُ بُطْلَانَ مُعْتَقَدِهِمْ وَرَأْيِهِمْ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الطَّبِيعَةَ قَدْ

سُخِّرَتْ لِلْإِنْسَانِ، فَأَصْبَحَ سَيِّدًا عَلَى مَا فِي الْأَرْضِ، يَبْنِي وَيَهْدِمُ وَيَتَصَرَّفُ بِأَجْزَائِهَا كَيْفَ شَاءَ، وَهِيَ لَا تُقَاوِمُ سَيْطَرَتَهُ وَلَا تَتَمَرَّدُ عَلَيْهِ، وَلَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، فَكَيْفَ تَكُونُ خَالِقَةً؟! فَأَدْنَى صَانِعٍ مِنَ الْبَشَرِ الَّذِي يَصْنَعُ الْإِبْرَةَ الْحَقِيرَةَ -فَضْلًا عَنِ الْأَشْيَاءِ الْعَظِيمَةِ- لَا بُدَّ أَنْ يَتَّصِفَ بِالْحَيَاةِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ بِالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ، حَتَّى يَتَسَنَّى لَهُ صُنْعُ مَا يُرِيدُهُ، فَلَوْ حَاوَلَ جَاهِلٌ مَعَ اتِّصَافِهِ بِالْحَيَاةِ وَالْعَقْلِ وَالْإِرَادَةِ أَنْ يَصْنَعَ شَيْئًا لَمَا اسْتَطَاعَ، لِكُونِهِ غَيْرَ عَالِمٍ، فَكَيْفَ بِالطَّبِيعَةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ شَيْءٌ؟!

وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

وَبِأَدْنَى نَظَرٍ إِلَى هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ يَسْتَدِلُّ الْإِنْسَانُ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، عَلَى الْخَالِقِ الْعَظِيمِ مُدَبِّرِ الْكَوْنِ الَّذِي لَهُ مِنْ الصِّفَاتِ مَا تَشْهَدُ بِهِ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هُوَ الْخَالِقُ، وَالْخَالِقُ لَابُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِصِفَةِ الْحَيَاةِ، وَالْخَلْقُ يَحْتَاجُ الْعِلْمَ وَالْقُدْرَةَ وَالْإِرَادَةَ، وَالظَّاهِرُ فِي هَذَا التَّنَوُّعِ يَدُلُّ عَلَى اتِّصَافِ الرَّبِّ الْحَكِيمِ بِالْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ؛ لِأَنَّ هَذَا التَّنَوُّعَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هُنَالِكَ إِرَادَةً قَدْ جَعَلَتْ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى تِلْكَ الصُّوَرِ الْمُتَعَدِّدَةِ فِي خَلْقِهَا

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢][٣].

• الدَّلِيلُ عَلَى إِقْرَارِ الْمُشْرِكِينَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ

بِحَيْثُ لَا تَشْتَبِهُ حَتَّى فِي النَّوْعِ الوَاحِدِ.

[٣] وَالْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ حَارَبَهُمُ النَّبِيُّ الْمَأْمُونُ ﷺ، وَأَحَلَّ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، وَنِسَاءَهُمْ، وَذَرَارِيَّهُمْ، وَأَرْضَهُمْ، وَدُورَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ مُخَلَّدِينَ فِي النَّارِ، كَانُوا مُقِرِّينَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، كَانُوا مُقِرِّينَ بِأَنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- هُوَ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَالِكُهُمْ وَمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ وَأَنَّهُ الْمُحْيِي وَالْمُمِيتُ، وَكُلُّ هَذا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ.

ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] [٤].

---

[٤] وَإِذَنْ: فَمَا هُوَ مَوْطِنُ النِّزَاعِ؟ وَمَا هُوَ مَوْطِنُ الْخُصُومَةِ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالكُفَّارِ المُشْرِكِينَ؟ إِنَّهُمْ -كَمَا دَلَّتِ الْآيَاتُ- يُقِرُّونَ -جَازِمِينَ- بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ الرِّزْقَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ، وَهُوَ الْمُحْيِي وَالْمُمِيتُ، وَهُوَ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَهُوَ الَّذِي يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، وَهُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، هُمْ يُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ أَصْنَامِهِمْ؛ بَلْ كَانُوا يُقِرُّونَ بِأَنَّ الأَصْنَامَ لَا تَخْلُقُ شَيْئًا، وَلَا تَرْزُقُ أَحَدًا، وَلَا تُدَبِّرُ أَمْرًا، فَمَا هُوَ مَوْطِنُ الْخُصُومَةِ إِذَنْ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْكُفَّارِ الْمُشْرِكِينَ؟

مَوْطِنُ الْخُصُومَةِ: أَنَّهُمْ صَرَفُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَلِغَيْرِهِ، أَوْ صَرَفُوا الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكَانَتْ لَهُمْ عِبَادَاتٌ؛ فَكَانُوا يَذْبَحُونَ لِلَّهِ وَلِأَصْنَامِهِمْ، وَيَنْذِرُونَ لِلَّهِ وَلِأَصْنَامِهِمْ، وَكَانُوا يُهِلُّونَ فِي إِهْلَالِهِمْ مُلَبِّينَ بِأَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَا شَرِيكَ لَهُ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَهُ يَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ. كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ(١).

كَانُوا يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ يَقُولُونَ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

لَكَ إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ».

فَكَانُوا يَصْرِفُونَ الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللَّهِ مَعَ صَرْفِهِمُ الْعِبَادَاتِ لِلَّهِ -تبَارَكَ وَتَعَالَى- وَكَانَتْ لَهُمْ عِبَادَاتٌ، وَكَانُوا يَأْتُونَ بِقُرُبَاتٍ، وَلَكِنْ يُشْرِكُونَ مَعَ اللَّهِ -تبَارَكَ وَتَعَالَى- غَيْرَهُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُظَنَّ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا بِأَحَدٍ آتَاهُ اللَّهُ ذَرَّةً مِنْ عَقْلٍ، أَنْ يَظُنَّ أَنَّ الصَّنَمَ يُحْيِي أَوْ يُمِيتُ، وَأَنَّ الحَجَرَ الَّذِي يَنْحِتُهُ بِنَفْسِهِ ثُمَّ يَنْصِبُهُ يُقَدِّمُ لَهُ الْعِبَادَةَ مَعَ اللَّهِ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَا يُعْقَلُ أَنْ يُظَنَّ بِهِ أَنَّهُ كَانَ يَعْتَقِدُ أَوْ يَظُنُّ أَنَّ هَذَا الحَجَرَ يُحْيِي أَوْ يُمِيتُ، أَوْ يَرْزُقُ أَوْ يَرْحَمُ، أَوْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ أَوْ يَفْعَلُ شَيْئًا بِاسْتِقْلَالٍ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَتَّخِذُونَ تِلْكَ الأَصْنَامَ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ يَقُولُونَ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] بِفِعْلِهِمْ هَذَا وَاعْتِقَادِهِمْ، وَبِقَوْلِهِمْ: «إِنَّ تِلْكَ الأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ الَّتِي يَتَوَسَّطُونَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ -تبَارَكَ وَتَعَالَى- لَهَا قَدْرٌ وَمَقَامٌ عِنْدَ اللَّهِ»، صَارُوا كُفَّارًا مُشْرِكِينَ، أَحَلَّ اللَّهُ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَذَرَارِيَّهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَدُورَهُمْ وَأَرْضَهُمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ، كُلُّ هَذَا بِسَبَبِ هَذَا الشِّرْكِ الْعَظِيمِ، وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ؛ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا مُقِرِّينَ -كَمَا مَرَّ فِي الآيَاتِ وَفِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ الْمَبْثُوثَةِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

فِي تِلْكَ الآيَاتِ بُرْهَانٌ وَدَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَأْتُونَ بِتَوْحِيدِ

عَلَى أَنَّ الشِّرْكَ مَأْخُوذٌ مِنَ الشَّرِكَةِ يُفِيدُ إِقْرَارَهُمْ بِالرُّبُوبِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُمْ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى شَرِيكًا فِي الْعِبَادَةِ، كَشَرِيكَيْنِ فِي شَيْءٍ مَثَلًا مَعَ أَنَّهُمْ مَا كَانُوا يُسَاوُونَ آلِهَتَهُمْ بِاللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ بَلْ فِي الْمَحَبَّةِ وَالْخُضُوعِ لَا فِي الْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ وَالنَّفْعِ وَالضُّرِّ [٥].

- **تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ لَا يُدْخِلُ الْإِنْسَانَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ**(١):

لِتَعْلَمْ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمِ: أَنَّ هَذَا التَّوْحِيدَ لَا يُدْخِلُ الْإِنْسَانَ فِي

الرُّبُوبِيَّةِ؛ لَمْ يُنْكِرُوا أَنَّ اللَّهَ مَالِكُ الْمُلْكِ وَأَنَّهُ خَالِقُ الْخَلْقِ، وَأَنَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- مُدَبِّرُ الْأَمْرِ وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ.

[٥] وَهَذَا التَّوْحِيدُ مَنْ أَتَى بِهِ مُجَرَّدًا وَلَمْ يَصْرِفِ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وَلَمْ يَأْتِ بِتَنْزِيهِ رَبِّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَنِ النَّقَائِصِ مَعَ إِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَجَمَالِهِ، مَنْ أَتَى بِهَذَا التَّوْحِيدِ -تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ- وَحْدَهُ لَا يَدْخُلُ بِهِ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ.

---

(١) وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ رَغْمَ اعْتِرَافِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ وَالرَّازِقُ وَالْمُحْيِي وَالْمُمِيتُ، فَقَدْ حَارَبَهُمْ ﷺ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُصْبِحُوا بِاعْتِرَافِهِمْ هَذَا مُسْلِمِينَ، وَقَدْ حَارَبَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ لِكَيْ يُقِرُّوا بِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَيُخْلِصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ ﷻ. =

دِينِ الْإِسْلامِ، وَلَا يَعْصِمُ دَمَهُ وَمَالَهُ، وَلَا يُنْجِيهِ فِي الْآخِرَةِ مِنَ النَّارِ، إِلَا إِذَا أَتَى مَعَهُ بِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ [٦].

---

[٦]وَصَرَفَ الْعِبَادَةَ كُلَّهَا لِلْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

* * *

= [وَلِيَصْرِفُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- وَحْدَهُ وَلِيُخْلِصُوا القَصْدَ لِلَّهِ -تبَارَكَ وَتَعَالى- فِي عِبَادَتِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، فَهَذَا مَوْطِنُ النِّزَاعِ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالمُشْرِكِينَ، وَهَذَا مُهِمٌّ أَنْ نَعْرِفَهُ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَحْسَبُ أَنَّ الخُصُومَةَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ إِنَّمَا وَقَعَتْ فِي وُجُودِ ذَاتِ الْخَالِقِ العَظِيمِ وَالرَّزَّاقِ الكَرِيمِ وَالْمُحْيِي المُمِيتِ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ وَحْدَهُ، هُمْ لَمْ يُنَازِعُوا فِي ذَلِكَ؛ بَلْ أَقَرُّوا بِهِ إِقْرَارًا كَمَا أَثْبَتَ ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ].

٢ - تَوْحِيدُ الأُلُوهِيَّةِ(١)

وَيُقَالُ لَهُ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ؛ لِأَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ لِأَنْ يُعْبَدَ، لَا سِوَاهُ -مُهِمًّا سَمَتْ دَرَجَتُهُ وَعَلَتْ مَنْزِلَتُهُ.

وَهُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ إِلَى أُمَمِهِمْ؛ لِأَنَّ الرُّسُلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جَاءُوا بِتَقْرِيرِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي كَانَتْ أُمَمُهُمْ تَعْتَقِدُهُ، وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى تَوْحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ [٧].

قَالَ اللَّهُ مُخْبِرًا عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

---

[٧] لَوْ تَتَبَّعْتَ خِطَابَاتِ الْمُرْسَلِينَ وَالنَّبِيِّينَ إِلَى أُمَمِهِمْ وَأَقْوَامِهِمْ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ لَائِحًا وَاضِحًا؛ فَإِنَّ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ لَمْ يُنَازِعْهُمْ أَقْوَامُهُمْ فِي إِثْبَاتِ وُجُودِ الخَالِقِ الْعَظِيمِ وَالرَّزَّاقِ الكَرِيمِ وَمُدَبِّرِ الْأَمْرِ الْمُحْيِي الْمُمِيتِ، وَإِنَّمَا نَازَعُوهُمْ فِي صَرْفِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ.

---

(١) وَهَذَا النَّوْعُ مِنْ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ، هُوَ مَا يَجِبُ أَنْ نُعَلِّمَهُ لِأَبْنَائِنَا مُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِمْ لِيَشِبُّوا وَيَشِيبُوا وَهُمْ آمِنُونَ مُحَصَّنُونَ ضِدَّ مَظَاهِرِ الشِّرْكِ وَالْبِدَعِ وَالْخُرَافَاتِ الَّتِي جَلَبَتْهَا الصُّوفِيَّةُ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٥-٢٦] [٨].

وَقَالَ عَنْ هُودٍ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠] [٩].

وَقَالَ عَنْ صَالِحٍ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [هود: ٦١].

وَقَالَ عَنْ شُعَيْبٍ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [هود: ٨٤].

وَقَالَ اللَّهُ مُخْبِرًا عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مُحَاجَّتِهِ مَعَ فِرْعَوْنَ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم

---

[٨] فَهَذِهِ دَعْوَتُهُ لِقَوْمِهِ: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٥-٢٦].

وَهَذَا يَتَكَرَّرُ بَعْدُ عِنْدَ جَمِيعِ الرُّسُلِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فَهَذَا أَوَّلُ الْمُرْسَلِينَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَعْوَتُهُ لِقَوْمِهِ: أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَحْدَهُ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ لَا سِوَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[٩] ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾؛ هِيَ نَفْسُهَا الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ النَّفْيُ وَالْإِثْبَاتُ، وَهَذِهِ دَعْوَةُ الْمُرْسَلِينَ جَمِيعًا.

﴿مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤] إلى آخر الآيات.

وَقَالَ اللَّهُ مُخْبِرًا عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٠].

وَقَالَ عَنْ عِيسَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١].

وَأَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ لِأَهْلِ الْكِتَابِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُنَادِيًا جَمِيعَ الْبَشَرِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وَبِالْجُمْلَةِ: فَالرُّسُلُ كُلُّهُمْ بُعِثُوا لِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ وَدَعْوَةِ الْقَوْمِ إِلَى إِفْرَادِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، وَاجْتِنَابِ عِبَادَةِ الطَّوَاغِيتِ وَالْأَصْنَامِ.

كَمَا قَالَ اللَّهُ. ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(١) [النحل: ٣٦].

---

(١) وَالطَّاغُوتُ: مُشْتَقٌّ مِنَ الطُّغْيَانِ وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ، وَيُطْلَقُ عَلَى الشَّيْطَانِ وَالْكُهَّانِ، وَكُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونَ اللَّهِ.

وَقَدْ حَدَّهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ حَدًّا جَامِعًا، فَقَالَ: =

= «الطَّاغُوتُ كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ، مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ، فَطَاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ مَنْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ غَيْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ يَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنَ اللَّهِ، أَوْ يُطِيعُونَهُ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَاعَةٌ لِلَّهِ».

إِذَا تَأَمَّلْتَ هَذَا التَّعْرِيفَ عَرَفْتَ أَنَّ حُكْمَ القَانُونِ مِنَ الطَّاغُوتِ، وَأَنَّ الْحَاكِمَ القَانُونِيَّ طَاغُوتٌ؛ لِأَنَّهُ يَحْكُمُ بِتَحْكِيمٍ وَضْعِيٍّ لَا يَسْتَنِدُ إِلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَلَا إِجْمَاعِ الْأُمَّةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي عِدَّةِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ: أَنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ، وَأَنَّ مَرَدَّ النِّزَاعِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وآية: ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وآية: ﴿هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

[وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ هِيَ فِتْنَةُ الْعَصْرِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُرَدَّ الْأَمْرُ فِيهَا إِلَى كَلَامِ السَّلَفِ وَمَنْهَجِهِمْ، فَهُوَ عَصْمَةٌ مِنْ تَكْفِيرِ النَّاسِ بِغَيْرِ مُوجِبٍ، وَهُوَ مُرْجِعٌ لِلْأَمْرِ إِلَى أَصْلِهِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ فِي طَرِيقَةِ السَّلَفِ فِي النَّظَرِ=

فَقَدْ سَمِعْتَ دَعْوَةَ كُلِّ رَسُولٍ لِقَوْمِهِ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا يَقْرَعُ أَسْمَاعَ قَوْمِهِ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩، ومواضع أخرى][١٠].

---

[١٠] فَهَذِهِ الْعِبَادَةُ لِأَجْلِهَا خَلَقَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَهِيَ تَوْحِيدُ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] إِلَّا لِيُوَحِّدُونِي، إِلَّا لِيَصْرِفُوا الْعِبَادَةَ لِي وَحْدِي، وَلَا يُصْرَفُ شَيْءٌ مِنَ الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ لِسِوَايَ، فَلِأَجْلِ ذَلِكَ خَلَقَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ وَظِيفَةَ الْإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهَا، فَكَيْفَ يُحَقِّقُهَا وَهُوَ بِهَا جَاهِلٌ، وَعَنْهَا مُدْبِرٌ، وَلَهَا مُحَارِبٌ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ مُحَقِّقًا الغَرَضَ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقَهُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَأَوْجَدَهُ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ الْغَرَضَ؛ بَلْ هُوَ مُحَارِبٌ لَهُ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ؟! فَمَعْرِفَةُ الْعِبَادَةِ، وَمَعْرِفَةُ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ، وَمَعْرِفَةُ الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي تُؤَدَّى بِهَا تِلْكَ الْعِبَادَةُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مُفْرَدَةً لَهُ، مَعْرِفَةٌ لِلْوَظِيفَةِ الَّتِي لِأَجْلِهَا خَلَقَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْإِنْسَانَ فِي الْحَيَاةِ.

= فِي هَذِهِ النُّصُوصِ، وَفِي قَوْلِهِمْ: كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَفِي تَقْسِيمِهِمْ ذَلِكَ إِلَى أَقْسَامِهِ الَّتِي بَيَّنُوهَا وَحَدَّدُوهَا -رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-].

تَفْسِيرُ الْعِبَادَةِ

الْعِبَادَةُ(١) فِي اللُّغَةِ مَعْنَاهَا: التَّذَلُّلُ وَالْخُضُوعُ، يُقَالُ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ؛ أَيْ: مُذَلَّلٌ. [١١]

---

[١١] وَطَّأَتْهُ الْأَقْدَامُ وَمَهَّدَتْهُ.

---

(١) لَا بُدَّ لَهَا -لِلْعِبَادَةِ- مِنْ رُكْنَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ، الْأَوَّلُ: نِهَايَةُ الْخُضُوعِ وَالذُّلِّ، وَالثَّانِي: غَايَةُ الْمَحَبَّةِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ فَسَّرَ الْعِبَادَةَ بِمَعْنَى الذُّلِّ مَا نَصُّهُ: «لَكِنِ الْعِبَادَةُ الْمَأْمُورُ بِهَا تَتَضَمَّنُ مَعْنَى الذُّلِّ وَمَعْنَى الْحُبِّ، فَهِيَ تَتَضَمَّنُ غَايَةَ الذُّلِّ لِلَّهِ تَعَالَى بِغَايَةِ الْمَحَبَّةِ لَهُ».

قَالَ: «وَمَنْ خَضَعَ لِإِنْسَانٍ مَعَ بُغْضِهِ لَهُ لَا يَكُونُ عَابِدًا لَهُ، -[إِذَا ذَلَّ لَهُ غَايَةَ الذُّلِّ وَلَمْ يُحِبَّهُ غَايَةَ الْحُبِّ لَا يَكُونُ لَهُ عَابِدًا، كَمَا قَدْ يُحِبُّ الرَّجُلُ وَلَدَهُ وَصَدِيقَهُ، وَبِهَذَا الْحُبِّ فَقَطْ لَا يَكُونُ عَابِدًا لَهُ]- وَلِهَذَا لَا يَكْفِي أَحَدُهُمَا -يَعْنِي: الذُّلَّ وَالْحُبَّ- فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَحَبَّ إِلَى الْعَبْدِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَعْظَمَ عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ بَلْ لَا يَسْتَحِقُّ الْمَحَبَّةَ وَالْخُضُوعَ التَّامَّ إِلَّا اللَّهُ.

وَمَا أَحَبَّ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَحَبَّتُهُ فَاسِدَةٌ، وَمَا عَظَّمَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَتَعْظِيمُهُ=

وَفِي الشَّرْعِ: مَعْنَى الْعِبَادَةِ- كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلامِ- هِيَ: «طَاعَةُ اللَّهِ، بِامْتِثَالِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ».

وَقَالَ أَيْضًا: الْعِبَادَةُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ». اهـ [١٢].

---

[١٢] فَالْعِبَادَةُ هِي: طَاعَةُ اللَّهِ ﷻ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

وَلِلْعِبَادَةِ قُطْبَانِ عَلَيْهِمَا تَدُورُ؛ وَقَدْ بَيَّنَهُمَا ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فِي قَوْلِهِ:

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ
مَعْ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ

= بَاطِلٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤] اهـ من العبودية.

[فَلَا بُدَّ فِي الْعِبَادَةِ مِنْ هَذَيْنِ الرُّكْنَيْنِ: الْأَوَّلُ: نِهَايَةُ الْخُضُوعِ وَالذُّلِّ، وَالثَّانِي: غَايَةُ الْمَحَبَّةِ].

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُفْرِدَ رَبَّهِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، مُخْلِصًا لِلَّهِ فِيهَا، وَأَنْ يَأْتِيَ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي سَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ قَوْلًا أَوْ عَمَلًا. [١٣]

وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ الْعَبَادَةِ دَائِرٌ
مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ
وَمَدَارُهُ بِالْأَمْرِ أَمْرِ رَسُولِهِ
لَا بِالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا الْمَعْنَى اسْتَقَامَتْ حَيَاتُكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَرَفَ أَنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ كُلُّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ تَحَوَّلَتْ الْحَيَاةُ كُلُّهَا مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ بِجَمِيعِ أَنْفَاسِهَا وَحَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا مِنَ الْقَوْمَةِ وَالْقَعْدَةِ، مِنَ الِانْطِلَاقِ وَالتَّثْبِيطِ، مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، حَتَّى الجِمَاعِ، تَحَوَّلَ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَى عِبَادَةٍ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِذَا كَانَ يَرْضَاهُ اللَّهُ بِأَنْ يَكُونَ عَلَى مِنْهَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَشْمَلُ الْعِبَادَةُ جَمِيعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَيَاةِ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ مَا دَامَ مَحْبُوبًا لِلَّهِ مَرْضِيًّا عِنْدَ اللَّهِ.

[١٣] لِأَنَّ الْإِخْلَاصَ فِي الْعِبَادَةِ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ مُتَابَعَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا تُقْبَلُ الْعِبَادَةُ بِهِ، وَكَذَلِكَ الْمُتَابَعَةُ مِنْ غَيْرِ إِخْلَاصٍ حَتَّى يَتَوَفَّرَ فِي الْعَمَلِ الَّذِي يَتَعَبَّدُ بِهِ الْعَبْدُ لِرَبِّهِ: الْإِخْلَاصُ وَالْمُتَابَعَةُ.

• شُمُولُ الْعِبَادَةِ لِلأَنْوَاعِ الآتِيَةِ:

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ تَشْمَلُ الصَّلَاةَ، وَالطَّوَافَ، وَالْحَجَّ، وَالصَّوْمَ، وَالنَّذْرَ، وَالِاعْتِكَافَ، وَالذَّبْحَ، وَالسُّجُودَ، وَالرُّكُوعَ، وَالْخَوْفَ وَالرَّهْبَةَ، وَالرَّغْبَةَ، وَالدُّعَاءَ، وَالتَّوَكُّلَ، وَالِاسْتِغَاثَةَ، وَالرَّجَاءَ.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي شَرَعَهَا اللَّهُ فِي قُرْآنِهِ الْمَجِيدِ، أَوْ شَرَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ الْقَوْلِيَّةِ أَوِ الْعَمَلِيَّةِ.

فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْهَا -مِنَ الْعِبَادَةِ- لِغَيْرِ اللَّهِ يَكُونُ مُشْرِكًا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فَالْعَمَلُ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ تُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ صَالِحًا؛ أَيْ: مُوَافِقًا لِلشَّرْعِ، وَأَمَرَ أَنْ يَقْصِدَ بِهِ صَاحِبُهُ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَبْتَغِي بِهِ سِوَاهُ.

فَـ«أَحَدًا» جَاءَتْ نَكِرَةً فِي سِيَاقِ النَّهْيِ [١٤]، فَتَعُمُّ كُلَّ مَخْلُوقٍ، رَسُولًا كَانَ أَوْ مَلَكًا أَوْ صَالِحًا.

- **أَوَّلُ حُدُوثِ الشِّرْكِ** [١٥]:

إِذَا ثَبَتَ هَذَا، فَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا حَدَثَ الشِّرْكُ فِي قَوْمِ نُوحٍ، وَلَمَّا أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نُوحًا يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ تِلْكَ الْأَصْنَامِ، عَانَدُوا وَأَصَرُّوا عَلَى شِرْكِهِمْ، وَقَابَلُوا نُوحًا بِالْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَقَالُوا - كَمَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ -: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣][١٦].

---

[١٤] وَالنَّكِرَةُ إِذَا جَاءَتْ فِي سِيَاقِ النَّهْيِ أَفَادَتِ الْعُمُومَ؛ كَمَا هِيَ فِي الآيَةِ.

[١٥] وَقَدْ حَدَثَ الشِّرْكُ فِي الْبَشَرِيَّةِ -وَكَانَ عَلَيْهَا طَابِعًا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ عَلَى الْحَنِيفِيَّةِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- فِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ: «**إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ**»(١)، وَتَسَلَّلَ الشَّيْطَانُ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ فَأَحْدَثَ فِيهَا الشِّرْكَ.

[١٦] وَكَانَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ، وَكَانَ النَّاسُ فِي تِلْكَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

فِي الصَّحِيحِ[1] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- فِي هَذِهِ الْآيَةِ، قَالَ: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، لَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا فِي مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا[2]؛ أَيْ: صَوِّرُوهُمْ عَلَى صُورِ أُولَئِكَ الصَّالِحِينَ، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ؛ فَفَعَلُوا، وَلَمْ تُعْبَدْ [١٧] حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ [١٨] وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا

الْقُرُونِ عَلَى السَّوِيَّةِ، ثُمَّ كَانَ هَؤُلَاءِ الصَّالِحُونَ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ -تبارَكَ وَتَعَالَى- أَسْمَاءَهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

[١٧] أَيْ: أَوَّلَ الْأَمْرِ.

[١٨] أَيِ: الَّذِينَ اتَّخَذُوا تِلْكَ الْأَنْصَابَ.

---

(١) أَيْ: صحيح البخاري (٨/ ٦٦٧- فتح) [رقم ٤٩٢٠].

(٢) أَنْصَاب: جَمْعُ نُصُبٍ، وأَصْلُهُ مَا نُصِبَ، كَغَرَضٍ وَنَحْوِهِ، وَالْمُرَادُ هُنَا: الْأَصْنَامُ الْمُصَوَّرَةُ عَلَى صُوَرِهِمْ، الْمَنْصُوبَةِ فِي مَجَالِسِهِمْ.

مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ»(١) [١٩].

---

[١٩] وَهَذَا أَمْرٌ مُهِمٌّ: الشَّيْطَانُ يَتَسَلَّلُ إِلَى الْإِنْسَانِ لِيَفْتِنَ قَلْبَهُ عَنِ الْهُدَى وَالرُّشْدِ، وَيَنْبَغِي عَلَى الْإِنْسَانِ أَلَّا يَتَّبِعَ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ؛ لأَنَّ الشَّيْطَانَ مِنْ هَمِّهِ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُطْلَقَ عَاصٍ، وَلِذَلِكَ يَأْتِي لِلْإِنْسَانِ مِنْ بَابِ الْكُفْرِ، فَإِنْ تَأَبَّى عَلَيْهِ أَتَى مِنْ بَابِ الشِّرْكِ، فَإِنْ تَأَبَّى عَلَيْهِ أَتَى مِنْ بَابِ الْبِدْعَةِ، فَإِنْ تَأَبَّى عَلَيْهِ أَتَاهُ مِنْ بَابِ الْكَبِيرَةِ، فَإِنْ تَأَبَّى عَلَيْهِ أَتَاهُ مِنْ بَابِ الصَّغِيرَةِ -مِنْ بَابِ اللَّمَمِ-، فَإِنْ تَأَبَّى عَلَيْهِ أَتَاهُ مِنْ بَابٍ عَجِيبٍ، وَهُوَ أَنَّهُ يُوَرِّطُهُ فِي الْأَخْذِ بِالْمَفْضُولِ مَعَ تَرْكِ الْفَاضِلِ مِنَ الْأَعْمَالِ؛ لِيَخْسَرَ الْعَبْدُ فَضْلَ مَا بَيْنَهُمَا، فَإِنْ تَأَبَّى عَلَيْهِ الْعَبْدُ فِي هَذِهِ الْعَقَبَةِ، وَقَلِيلٌ مَنْ يَتَأَبَّى عَلَى الشَّيْطَانِ فِيهَا، أَوْ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهَا، فَإِنْ تَأَبَّى عَلَيْهِ أَزَّ عَلَيْهِ الْخَلْقَ مِنْ أَجْلِ إِيذَائِهِ، وَمِنْ أَجْلِ صَرْفِ النَّاسِ عَنْهُ وَلِأَجْلِ تَشْوِيهِ صُورَتِهِ وَدَحْضِ دَعْوَتِهِ، كَمَا هُوَ وَاقِعٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

وَمِنَ الْأَثَرِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي غُلُوِّ قَوْمِ نُوحٍ فِي الصَّالِحِينَ وَتَصْوِيرِهِمْ إِيَّاهُمْ، وَالِاحْتِفَاظِ بِصُوَرِهِمْ، وَنَصْبِهَا فِي

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٨٤) دار المعرفة - بيروت- ط٢- تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا، مِنْهُ نُدْرِكُ خُطُورَةَ التَّصْوِيرِ، وَخُطُورَةَ تَعْلِيقِ الصُّوَرِ عَلَى الْجُدْرَانِ، وَخُطُورَةَ نَصْبِ التَّمَاثِيلِ فِي الْمَيَادِينِ وَالشَّوَارِعِ؛ وَلِهَذَا جَاءَ الْإِسْلَامُ بِتَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ، وَلَعْنِ الْمُصَوِّرِينَ، وَتَوَعُّدِهِمْ بِأَشَدِّ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، سَدًّا لِذَرِيعَةِ الشِّرْكِ، وَابْتِعَادًا عَنْ مُضَاهَاةِ خَلْقِ اللَّهِ عَجَلَّ.

وَنُدْرِكُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ مَدَى حِرْصِ الشَّيْطَانِ -لَعَنَهُ اللَّهُ- عَلَى إِغْوَاءِ بَنِي آدَمَ، وَمَكْرِهِ بِهِمْ، وَأَنَّهُ قَدْ يَأْتِيهِمْ مِنْ نَاحِيَةِ الْعَاطِفَةِ، وَدَعْوَى التَّرْغِيبِ فِي الْخَيْرِ.

* * *

سَبَبُ الشِّرْكِ: الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ [٢٠]

وَمِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّ الشِّرْكَ إِنَّمَا حَدَثَ فِي بَنِي آدَمَ بِسَبَبِ الْغُلُوِّ فِي الصَّالِحِينَ.

---

[٢٠] وَسَبَبُ الشِّرْكِ: الْغُلُو فِي الصَّالِحِينَ كَمَا مَرَّ فِيمَا وَقَعَ لِقَوْمِ نُوحٍ؛ فَإِنَّ أُولَئِكَ الْمَذْكُورِينَ فِي سُورَةِ نُوحٍ مِنْ أَسْمَاءِ أَصْنَامِهِمْ وَأَنْصَابِهِمْ إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءٌ لِقَوْمٍ صَالِحِينَ كَانُوا يُذَكِّرُونَهُمْ بِاللَّهِ -رَبِّ الْعَالَمِينَ-، فَلَمَّا مَاتُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِ نُوحٍ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا -أَيْ: صَوِّرُوهَا- عَلَى صُوَرِ أُولَئِكَ الصَّالِحِينَ، وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ - تِلْكَ الْأَنْصَابُ - حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اتَّخَذُوهَا نُسِيَ الْعِلْمُ فَعُبِدَتْ.

وَالْغُلُوُّ هُوَ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ فِي مَدْحِ الشَّيْءِ أَوْ ذَمِّهِ، وَضَابِطُهُ: تَعَدِّي مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَهُوَ الطُّغْيَانُ الَّذِي نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ [طه: ٨١]، وَكَذَا قَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]؛ أي: لا تَتَعَدَّوا مَا حَدَّ اللَّهُ لَكُمْ.

وَمَعْنَى الْغُلُوِّ: الْإِفْرَاطُ بِالتَّعْظِيمِ بِالْقَوْلِ وَالاعْتِقَادِ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ [النساء: ١٧١].

أَيْ: لَا تُفْرِطُوا فِي تَعْظِيمِهِ حَتَّى تَرْفَعُوهُ عَنْ مَنْزِلَتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ [فِيهَا]، فَتُنْزِلُوهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ.

وَالْخِطَابُ وَإِنْ كَانَ لِأَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِنَّهُ عَامٌّ يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ الْأُمَّةِ، تَحْذِيرًا لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِنَبِيِّهِمْ، مِثْلَمَا فَعَلَتِ النَّصَارَى بِعِيسَى، وَالْيَهُودُ بِعُزَيْرٍ.

وَلِهَذَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ(١) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**».

أَيْ: لَا تَتَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي مَدْحِي، فَتُنْزِلُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ بِهَا، كَمَا غَلَتِ النَّصَارَى فِي عِيسَى فَادَّعَوْا فِيهِ الْأُلُوهِيَّةَ، [وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَصِفُونِي بِمَا وَصَفَنِي رَبِّي].

وَلَكِنْ أَبَى الْجَاهِلُونَ وَالْمُخَرِّفُونَ إِلَّا مُخَالَفَةَ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ، وَارْتِكَابَ نَهْيِهِ، فَنَاقَضُوهُ أَعْظَمَ مُنَاقَضَةٍ، وضَاهَئُوا النَّصَارَى فِي

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٥).

غُلُوِّهِمْ وَشِرْكِهِمْ، وَبَنَوْا الْقِبَابَ[1] وَالْمَسَاجِدَ عَلَى أَضْرِحَةِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَصَلَّوْا فِيهَا- وَإِنْ كَانَ لِلَّهِ- لَكِنْ بِقَصْدِ التَّعْظِيمِ لِلْمَقْبُورِينَ، وَطَافُوا بِقُبُورِهِمْ، وَاسْتَغَاثُوا رَبَّهُمْ فِي كَشْفِ الْمُلِمَّاتِ وَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَرَأَوْا أَنَّ الصَّلَاةَ فِي أَضْرِحَةِ الْأَوْلِيَاءِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ.

---

(١) قُلْتُ فِي مَنْظُومَتِي «اللَّآلِئ السَّنِيَّة»:

عَبَدَ الْأَكْثَرُ مِنْهُمْ صَالِحًا
وَنَبِيًّا وَوَلِيًّا شُهِرَا

كُلُّ قُطْرٍ عِنْدَهُمْ مَعْبُودُهُمْ
أَشْرَكُوهُ بِالَّذِي قَدْ فَطَرَا

وَقِبَابًا فَوْقَهُمْ قَدْ أَسَّسُوا
خَالَفُوا الْمُخْتَارَ فِيمَا حَذَّرَا

كَمْ حَدِيثٍ ثَابِتٍ قَدْ وَرَدَا
قَدْ نَهَى الْأُمَّةَ مِمَّا صَدَرَا

وَأَبُو الْهَيَّاجِ هَذَاكَ التَّقِي
عَنْ عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى قَدْ أَخْبَرَا

طَمْسُ تِمْثَالٍ وَقَبْرٍ مُشْرِفٍ
هَدْمُهُ يُرْوَى، وَذَا قَدْ حُرِّرَا

وَذَوُو الْعِلْمِ بِذَا قَدْ حَكَمُوا
رَاجِعِ الْكُتْبَ تَجِدْ مَا سُطِرَا

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: «لِمَا نُزِلَ[1] بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ[2] يَطْرَحُ خَمِيصَةً[3] لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ[4] بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ -وَهُوَ كَذَلِكَ-: «**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[5]، وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا[6]».

---

(١) نُزِلَ: بِضَمِّ النُّونِ وَكَسْرِ الزَّايِ، مَبْنِيٌّ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ؛ أَيْ: نَزَلَ بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ.

(٢) طَفِقَ: بِكَسْرِ الفَاءِ وَفَتْحِهَا، وَالْكَسْرُ أَفْصَحُ، كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الكَرِيمِ: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ومعناه: جعل.

(٣) خَمِيصَة: بِفَتْحِ الْخَاءِ: كِسَاءٌ لَهُ أَعْلَامٌ.

(٤) إِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا: أَيْ: إِذَا احْتُبِسَ نَفَسُهُ عَنِ الْخُرُوجِ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ.

(٥) يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا -إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ-: هَذَا مِنْ كَلَامِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٦) لَعَنَهُمُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ بِعَيْنِهِ، وَهُوَ اتِّخَاذُ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَسَاجِدَ، أَيْ: كَنَائِسَ وَبِيَعًا يَتَعَبَّدُونَ وَيَسْجُدُونَ فِيهَا لِلَّهِ، وَإِنْ لَمْ يُسَمُّوهَا مَسَاجِدَ، فَإِنَّ الِاعْتِبَارَ بِالْمَعْنَى لَا بِالِاسْمِ، وَمَثَلُ ذَلِكَ: الْقِبَابُ وَالْمَسَاجِدُ الْمَبْنِيَّةُ عَلَى قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ؛ فَإِنَّهَا هِيَ الْمَسَاجِدُ الْمَلْعُونُ مَنْ بَنَاهَا عَلَى=

أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ[١].

وَجَرَى مِنْهُمْ الْغُلُوُّ فِي الشِّعْرِ وَالنَّثْرِ مَا يَطُولُ عَدُّهُ، حَتَّى جَوَّزُوا الِاسْتِغَاثَةَ بِالرَّسُولِ وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ، فِي كُلِّ مَا يُسْتَغَاثُ فِيهِ بِاللَّهِ، وَنَسَبُوا إِلَيْهِ عِلْمَ الْغَيْبِ!! حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْغُلَاةِ: لَمْ يُفَارِقِ الرَّسُولُ الدُّنْيَا حَتَّى عَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ!!، وَخَالَفُوا صَرِيحَ الْقُرْآنِ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

وَقَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ رَسُولِهِ: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

= قُبُورِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يُسَمِّهَا مِنْ بَنَاهَا مَسَاجِدَ، وَفِيهِ رَدٌّ عَلَى مَنْ أَجَازَ الْبِنَاءَ عَلَى قُبُورِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ تَمْيِيزًا لَهُمْ عَنِ غَيْرِهِمْ؛ فَإِذَا كَانَ ﷺ لَعَنَ مَنْ بَنَى الْمَسَاجِدَ عَلَى قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ فَكَيْفَ بِمَنْ بَنَاهَا عَلَى قُبُورِ غَيْرِهِمْ! اهـ. (مِنْ تَيْسِيرِ العزيز الحميد).

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١) (٢٢).

أَمَّا رِوَايَةُ: «وَلَوْلَا ذَلِكَ» فَهِيَ عِنْدَ مُسْلِمٍ أَيْضًا برقم (٥٢٩) (١٩).

وَقَـالَ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾(١) [النمل: ٦٥].

وَإِذْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الشِّرْكَ حَدَثَ بِسَبَبِ الْغُلُوِّ فِي الصَّالِحِينَ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَتِ الرُّسُلُ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ يَدْعُونَ الْعِبَادَ إِلَى إِفْرَادِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، لَا إِلَى إِثْبَاتِ أَنَّهُ خَلَقَهُمْ وَنَحْوِهِ، إِذْ هُمْ [٢١] مُقِرُّونَ بِذَلِكَ [٢٢] كَمَا قَرَّرْنَاهُ وكَرَّرْنَاهُ.

---

[٢١] أَيْ: الْخَلْقُ.

[٢٢] أَيْ: أَنَّ اللَّهَ هُوَ خَلَقَهُمْ وأَنَّهُ مَالِكُهُمْ وَمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ، وَأَنَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ.

---

(١) وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ كَمَا تَرَى إِفْرَادُهُ تَعَالَى بِعِلْمِ الْغَيْبِ، وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ سِوَاهُ، وَلِذَلِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ عَلَى اللَّهِ» [مسلم: ١٧٧]، وكَوْنُهُ ﷺ أَخْبَرَ بِبَعْضِ الْمُغَيَّبَاتِ فَهُوَ مِنْ وَحْيِ اللَّهِ لَهُ.

[وَلَكِنْ هُوَ ﷺ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي كتابه الكريم: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، هـو ﷺ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا مَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِهِ وَأَوْحَاهُ إِلَيْهِ].

وَلِذَا قَالُوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]؛ أَيْ: لِنُفْرِدَهُ بِالْعِبَادَةِ ونَخُصَّهُ بِهَا مِنْ دُونِ آلِهَتِنَا [٢٣].

---

[٢٣] كَانُوا يَعْلَمُونَ مَوْطِنَ النِّزَاعِ، لَمْ يَكُنِ الْأَقْوَامُ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ الْمُرْسَلُونَ يَظُنُّونَ بَلْهَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْمُرْسَلِينَ إِنَّمَا جَاءُوا لِكَيْ يُقِرَّ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ مَالِكُهُمْ، هَذَا لَا نِزَاعَ فِيهِ، وَلَمْ يُنَازِعْ فِيهِ إِلَّا الدَّهْرِيَّةُ، وَهُمْ قَلِيلٌ مِنَ الْغَابِرِينَ، وَإِلَّا الشُّيُوعِيُّونَ مِنَ الْمُعَاصِرِينَ، وَهَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، فَمَنْ وَرَاءَهُمْ مُقِرٌّ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْخَلْقِ، وَمَالِكُ الْمُلْكِ، وَمُدَبِّرُ الْأَمْرِ، لِذَلِكَ قَالُوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧]؛ أَيْ: أَجِئْتَنَا لِنُفْرِدَ اللَّهَ بِالْعِبَادَةِ وَنَخُصَّهُ بِهَا مِنْ دُونِ آلِهَتِنَا؟ أَجِئْتَنَا لِكَيْ نَصْرِفَ جَمِيعَ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ لِإِلَهٍ وَاحِدٍ هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ، وَلَا نَتَقَرَّبُ إِلَى الْآلِهَةِ لِتَشْفَعَ لَنَا عِنْدَهُ وَتُقَرِّبَنَا إِلَيْهِ زُلْفَى؟! هَذَا هُوَ مَوْطِنُ النِّزَاعِ، وَالْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ لَمْ يُحَرِّرْهُ، كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَلْ جَمَاهِيرُ الْمُسْلِمِينَ لَا يَعْلَمُونَ مَوْطِنَ النِّزَاعِ بَيْنَ الْمُرْسَلِينَ وَأَقْوَامِهِمْ، لَا يَعْلَمُونَ مَوْطِنَ النِّزَاعِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ الْكَافِرِينَ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّ النِّزَاعَ إِنَّمَا كَانَ فِي إِثْبَاتِ وُجُودِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ، وَأَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هُوَ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَازَالَ كَثِيرٌ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا

لَا يَأْخُذُونَ عَلَى قَدْرِ هَذَا الْأَمْرِ، إِنَّمَا يُغْرِقُونَ فِيهِ إِغْرَاقًا مِنْ أَجْلِ إِثْبَاتِ وُجُودِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، وَهَذَا لَا تُنَازِعُ فِيهِ فِطْرَةٌ سَوِيَّةٌ، صَحِيحٌ أَنَّ بَعْضَ الْفِطَرِ إِذَا أَصَابَهَا وَغَشِيَهَا شَيْءٌ مِنْ غَشْيٍ؛ فَإِنَّهَا تَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى إِقَامَةِ الدَّلِيلِ، وَلَكِنَّ الْبَرَاهِينَ الْكَبِيرَةَ الْمَبْثُوثَةَ عَلَى تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ إِنَّمَا كَانَتْ لَفْتًا لِأَنْظَارِ هَؤُلَاءِ - سَوْقًا لِأُولَئِكَ الَّذِينَ أَقَرُّوا بِهَا - مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَحْدَهُ.

فَذَكَرَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ كَثِيرًا مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى تَفَرُّدِهِ بِالْمُلْكِ وَبِالْخَلْقِ وَبِالتَّدْبِيرِ، وَأَنَّهُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ نَازَعُوا فِيهِ، وَلَكِنْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَّخِذَ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ سُلَّمًا لِإِقْرَارِهِمْ بِمَا جَحَدُوهُ وَأَشْرَكُوا فِيهِ مِنْ تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الَّذِي تَفَرَّدَ بِالْخَلْقِ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هُوَ الرَّزَّاقُ الْكَرِيمُ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلِكُكُمْ وَيَمْلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَيَمْلِكُ آلِهَتَكُمُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَإِذَا كَانَ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَأَقْرَرْتُمْ بِهِ، وَلَمْ تَجْحَدُوهُ وَلَمْ تُنْكِرُوهُ فَأَقِرُّوا إِذَنْ بِأَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سُلَّمًا لِإِقْرَارِهِمْ بِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَبِإِتْيَانِهِمْ بِالْعِبَادَةِ خَالِصَةً لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ، لَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُنَازِعُونَ أَوْ أَنْ أَحَدًا مِنْ أُولَئِكَ

الْمُشْرِكِينَ كَانَ يَظُنُّ أَوْ يَعْتَقِدُ أَنَّ أَحَدًا خَلَقَ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا، لَمْ يَكُنْ أَبُو جَهْلٍ يَظُنُّ أَوْ يَعْتَقِدُ أَنَّ هُبَلَ وَلَا مَنَاةَ أَوِ اللَّاتَ أَوِ الْعُزَّى أَوْ إِسَافَ أَوْ نَائِلَةَ، خَلَقَ شَيْئًا، أَوْ أَنَّهُ يَرْزُقُ أَحَدًا، أَوْ أَنَّهُ يُدَبِّرُ أَمْرًا، وَعَلَيْهِ، فَفِي أَيِّ شَيْءٍ كَانَ مَوْطِنُ النِّزَاعِ؟!

فِي أَنَّهُمْ عَبَدُوهَا مَعَ اللَّهِ، لِمَاذَا عَبَدُوهَا مَعَ اللَّهِ؟ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَهَا مَقَامًا عِنْدَ اللَّهِ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، يَقُولُونَ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨] هَذَا هُوَ مَوْطِنُ النِّزَاعِ، وَفِيهِ كَانَتِ الْخُصُومَةُ، وَبِسَبَبِهِ وَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَحِزْبِهِ، وَالشَّيْطَانِ وَجُنْدِهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ الصِّرَاعُ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ.

كَانَ مَوْطِنُ الْخُصُومَةِ فِي صَرْفِ أَلْوَانٍ مِنْ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَكَانَ الْكُفَّارُ يَعْلَمُونَ مَعْنَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ جَمَاهِيرِ الْمُنْتَسِبِينَ لِلْعِلْمِ لَا يَعْلَمُونَ مَعْنَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقُبْحًا لِمَنْ لَا يَعْلَمُ مِنْ مَعْنَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا كَانَ يَعْرِفُهُ الْجَاهِلِيُّونَ الْكَافِرُونَ؛ لِأَنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا يَعْلَمُونَ مَعْنَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَانُوا يَقُولُونَ: مَعْنَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ أَيْ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّهُ؛ يَعْنِي: أَنَّهُ لَا تُصْرَفُ الْعِبَادَةُ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَصَرَّحُوا بِذَلِكَ كَمَا حَكَى الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٠]، وَكَمَا قَالَ الْكُفَّارُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿أَجَعَلَ

الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فَكَانُوا يَعْلَمُونَ دَعْوَتَهُ لَهُمْ، وَكَانَتْ مَكْشُوفَةً ظَاهِرَةً لَا الْتِوَاءَ فِيهَا وَلَا لَبْسَ وَلَا اشْتِبَاهَ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَكُونَ -وَكَذَا دَعَوَاتُ سَائِرِ الْمُرْسَلِينَ- وَاضِحَةً لِتَقُومَ الْحُجَّةُ، وَإِلَّا لَكَانَ لِلْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ الْعُذْرُ، وَلَكِنْ سَقَطَتْ حُجَجُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ بِالْبَيَانِ الْوَاضِحِ الْمُبِينِ، فَعَلِمُوا ذَلِكَ وَأَقَرُّوا بِهِ، وَأَبُو سُفْيَانَ ﵁ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ هِرَقْلَ لَمَّا سَأَلَهُ هِرَقْلُ: مَا الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ -يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ-؟ وَأَبُو سُفْيَانَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ- وَكَانَ ذَلِكَ فِي فَتْرَةِ الْمُوَادَعَةِ فِيمَا بَيْنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ وَالثَّامِنَةِ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ؛ مَا بَيْنَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ وَفَتْحِ مَكَّةَ. فَسَأَلَهُ هِرَقْلُ: مَا الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ؟ قَالَ: يَدْعُونَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا(١).

إِذَنْ؛ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الدَّعْوَةُ وَاضِحَةً، يَنْبَغِي أَنْ تُكْشَفَ الدَّعْوَةُ لِلنَّاسِ، النَّاسُ لَا يَعْرِفُونَ الدَّعْوَةَ، الدَّاعِي لَا يُظْهِرُ دَعْوَتَهُ، النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ إِلَامَ يَدْعُو، الْمُرْسَلُونَ لَمْ يَكُونُوا كَذَلِكَ، وَدَعْوَةُ الْمُرْسَلِينَ مَكْشُوفَةٌ ظَاهِرَةٌ وَاضِحَةٌ، عَلِمَهَا الْكُفَّارُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَقَرُّوا بِهَا كَمَا حَكَى الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَكَمَا جَرَى ذَلِكَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ هُمْ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي سُفْيَانَ ﵁، وَأَمَّا الْكِتَابُ الْمَجِيدُ فَفِي دَعَوَاتِ الْمُرْسَلِينَ السَّابِقِينَ

---

(١) أخرجه البخاري (٧، ٢٩٤١، ٤٥٥٣)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس ﵄.

﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]؛ أَيْ: لِنُفْرِدَهُ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ ونَخُصَّهُ بِهَا مِنْ دُونِ آلِهَتِنَا، كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟! يَتَعَجَّبُونَ، وَكَذَلِكَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ الْمَأْمُونِ ﷺ: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

إِثْبَاتُ وُجُودِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَمْرٌ مَرْكُوزٌ فِي الْفِطْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، جَبَلَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِأَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هُوَ خَالِقُهُمْ؛ بَلْ عَلَى مَا هُوَ أَبْعَدُ فِي تَصَوُّرِ الْخَلْقِ مِنْ هَذَا؛ بَلْ جَبَلَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَّاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ، جَبَلَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الْخَلْقَ مُقِرِّينَ فِي فِطَرِهِمْ، فِي أَنْفُسِهِمْ، فِي ضَمَائِرِهِمْ، بِأَنَّ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- عَالٍ فَوْقَ خَلْقِهِ، لَهُ صِفَةُ الْعُلُوِّ ذَاتًا وَشَأْنًا وَقَهْرًا، وَأَفْعَالًا؛ فَهُوَ الْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَهُ صِفَةُ الْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ ذَاتًا وَصِفَةً وَقَهْرًا، فَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَالٍ فَوْقَ خَلْقِهِ عُلُوًّا ذَاتِيًّا ﷻ، مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ بِذَاتِهِ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَبِجَلَالِهِ، تَعَالَى اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُشْبِهَ شَيْئًا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ أَوْ يُشْبِهَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، فَالإِنْسَانُ إِذَا سَجَدَ إِلَى أَيْنَ يَتَّجِهُ قَلْبُهُ عِنْدَ تَسْبِيحِهِ بِحَمْدِ رَبِّهِ: سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ، إِلَى أَيْنَ يَتَّجِهُ قَلْبُهُ وَهُوَ سَاجِدٌ؟ إِلَى جِهَةِ السُّفْلِ أَمْ إِلَى جِهَةِ الْعُلُوِّ؟! إِلَى جِهَةِ الْعُلُوِّ.

إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ رَبَّهُ، جَعَلَ كَفَّيْهِ مَبْسُوطَتَيْنِ إِلَى السُّفْلِ أَمْ إِلَى الْعُلُوِّ؟!

يَتَوَجَّهُ إِلَى الْعُلُوِّ فِطْرَةً، وَهَذَا مَا قَالَهُ الْهَمْدَانِيُّ لَمَّا رَدَّ عَلَى الْجُوَيْنِيِّ وَكَانَ قَدْ صَعِدَ الْمِنْبَرَ - الْجُوَيْنِيُّ - يُرِيدُ أَنْ يُقَرِّرَ نَفْيَ الِاسْتِوَاءِ، فَلَمَّا صَعِدَ الْمِنْبَرِ قَالَ: كَانَ اللَّهُ وَلَا عَرْشَ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ، لَمْ يُنَازِعْهُ هُوَ - الْهَمْدَانِيُّ- بِالدَّلِيلِ النَّقْلِيِّ؛ لِأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَرُوحَ فِيهِ وَيَجِيءَ، وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ -وَكَانَ مُحَدِّثًا رَحِمَهُ اللَّهُ وَعَلَى عَقِيدَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَقَدْ رَجَعَ الْجُوَيْنِيُّ وَالْمُتَكَلِّمُونَ إِلَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ، إِلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، نُقِلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ فِي أُخْرَيَاتِ حَيَوَاتِهِمْ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ- : يَا أُسْتَاذُ دَعْنَا الْآنَ مِنَ الْعَرْشِ وَالْفَرْشِ، وَأَخْبِرْنِي عَنْ هَذِهِ الضَّرُورَةِ الَّتِي يَجِدُهَا الْعَارِفُ فِي قَلْبِهِ إِذَا دَعَا رَبَّهُ، فَإِنَّهُ مَا دَعَا عَارِفٌ رَبَّهُ قَطُّ إِلَّا وَجَدَ فِي نَفْسِهِ ضَرُورَةَ النَّزْعِ إِلَى الْأَعْلَى، إِذَا قَالَ: يَا رَبِّ يَتَّجِهُ إِلَى الْعُلُوِّ لَا إِلَى السُّفْلِ؛ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ هَذِهِ الضَّرُورَةِ كَيْفَ نَتَخَلَّصُ مِنْهَا؟ فَلَمْ يُجِبْهُ وَإِنَّمَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَبَكَى وَنَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ يَقُولُ: حَيَّرَنِي الْهَمْدَانِيُّ، حَيَّرَنِي الْهَمْدَانِيُّ[1].

فَخَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ مُقِرِّينَ بِوُجُودِهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-؛ بَلْ وَبِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ لَهُ سُبْحَانَهُ، كَمَا مَرَّ فِي هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ.

---

(١) أخرجه الذهبي في العلو (٥٨٢)، وصححه الألباني في المختصر (٣٣٧).

فَهُمْ لَمْ يُنْكِرُوا وُجُودَ اللَّهِ، كَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُحِبُّونَ اللَّهَ، وَلَكِنْ كَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَيَعْبُدُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ، كَانُوا يُحِبُّونَ اللَّهَ وَيُحِبُّونَ مَعَ اللَّهِ سِوَاهُ، وَيُسَوُّونَ بَيْنَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَآلِهَتِهِمْ فِي الْمَحَبَّةِ، وَلَكِنْ لَمْ يُنْكِرُوا وُجُودَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وَلَا جَحَدُوا أَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْعِبَادَةِ وَلَكِنْ جَحَدُوا أَنْ يَسْتَحِقَّ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ، فَصَرَفُوا أَلْوَانًا مِنَ أَلْوَانِ الْعِبَادَاتِ لِغَيْرِ اللَّهِ -رَبِّ الْعَالَمِينَ-.

يَنْبَغِي أَنْ نَفْهَمْ هَذَا فَهْمًا صَحِيحًا؛ لِأَنَّ هَذَا لَمَّا وَقَعَ فِيهِ الْخَلَلُ انْحَرَفَتْ جَمَاهِيرُ الْأُمَّةِ عَنِ مَسَارِهَا الصَّحِيحِ، إِذَا صُحِّحَ هَذَا اسْتَقَامَتِ الْأُمُورُ، إِذَا عَلِمَ الْمُسْلِمُ هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ، وَهُوَ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَهُ، وَلِأَجْلِهِ أَنْزَلَ الْكُتُبَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَبِهِ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ وَجَمِيعُ الْمُرْسَلِينَ قَبْلَهُ، إِذَا عَلِمَ هَذَا عِلْمًا صَحِيحًا وَالْتَزَمَهُ وَأَتَى بِهِ عَلَى النَّحْوِ الْمَرْضِيِّ عِنْدَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- اسْتَقَامَتْ أُمُورُ الْأُمَّةِ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَصْرِفُونَ كَثِيرًا مِنْ أَلْوَانِ الْعِبَادَاتِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ أَصْلًا.

يَقُولُونَ: وَهَلْ هَذِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ؟ لِأَنَّهُمْ يَقْصِرُونَ الْعِبَادَةَ عَلَى الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، أَوْ عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصَّوْمِ، وَيَعْتَبِرُونَ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَعْدُو ذَلِكَ قِيدَ أُنْمُلَةٍ، وَهَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ!

تَجِدُ الرَّجُلَ يَذْبَحُ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَإِذَا كَلَّمْتَهُ قَالَ: وَهَلِ الذَّبْحُ لِلْوَلِيِّ فِيهِ شَيْءٌ؟ مَعَ أَنَّهُ شِرْكٌ أَكْبَرُ؛ لِأَنَّ الذَّبْحَ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مِنْ أَعْظَمِ أَلْوَانِ الْعِبَادَةِ، وَمَا يُتَقَرَّبُ بِهِ لِلَّهِ - رَبِّ الْعَالَمِينَ-، فَإِذَا جُعِلَتْ هَذِهِ الْعِبَادَةُ الْعَظِيمَةُ لِغَيْرِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-؛ فَهَذَا شِرْكٌ أَكْبَرُ.

كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمَسَاكِينِ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، غَرَّهُمْ عُلَمَاءُ السُّوءِ، وَضَلَّلُوهُمْ؛ إِذْ هُمْ بِذَلِكَ جَاهِلُونَ، حَتَّى أُولَئِكَ الْعُلَمَاءُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَمْ يُحَرِّرْ هَذِهِ الْمَقَاصِدَ تَحْرِيرًا صَحِيحًا، وَلَا عَرَفَ حَقِيقَةَ مَا أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

* * *

أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ وَأَدِلَّتُهَا

اعْلَمُوا أَنَّ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ -كَمَا سَبَقَ- الرُّكُوعَ، وَالسُّجُودَ، وَالطَّوَافَ، وَالنَّذْرَ، وَالذَّبْحَ، وَالِاسْتِغَاثَةَ، وَالِاسْتِعَانَةَ، وَالْحَلِفَ، وَالتَّوَكُّلَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا مَرَّ.

فَدَلِيلُ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ وَالذَّبْحِ: قَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] [٢٤].

---

[٢٤] هَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنُسُكِى﴾، وَلِلْعُلَمَاءِ فِي تَأْوِيلِهَا قَوْلَانِ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: النُّسُكُ بِمَعْنَى: الْعِبَادَةِ؛ فَيَكُونُ قَدْ ذَكَرَ الصَّلَاةَ وَهِيَ مِنْ أَفْرَادِ الْعِبَادَةِ، ثُمَّ أَتَى بِالْعَامِّ بَعْدَ الْخَاصِّ؛ فَخَصَّ الصَّلَاةَ بِالذِّكْرِ، وَأَتَى بِمَا تَدْخُلُ الصَّلَاةُ فِيهِ بَعْدُ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى عِظَمِهَا وَشَرَفِهَا، وَأَنَّهَا الْأُسُّ مِنَ الدِّينِ، وَمُقَدَّمُ الْأَعْمَالِ الَّتِي يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ رَبِّ

وَقَوْلُهُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٢-٣] [٢٥].

الْعَالَمِينَ، فَهِيَ بَعْدَ تَوْحِيدِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-.

وَأَمَّا الْقَوْلُ الثَّانِي: فَالنُّسُكُ؛ أَي: الذَّبْحُ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

[٢٥] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ أَيْ: فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ لِرَبِّكَ، أَوْ: انْحَرْ لَهُ لَا تَنْحَرْ لِغَيْرِهِ، كَمَا أَنَّكَ لَا تُصَلِّيَ لِسِوَاهُ.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ لَهُ وَحْدَهُ؛ وَالرُّكُوعُ عِبَادَةٌ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَلَا يَرْكَعُ أَحَدٌ لِأَحَدٍ، وَلَا يَنْحَنِي أَحَدٌ لِأَحَدٍ تَعْظِيمًا؛ فَالِانْحِنَاءُ عَلَى وَجْهِ الذُّلِّ وَالتَّعْظِيمِ لِمَنِ انْحَنَى لَهُ رُكُوعٌ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَالسُّجُودُ عِبَادَةٌ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَلَا يُسْجَدُ لِلصَّنَمِ، وَلَا يُسْجَدُ لِلْقَبْرِ، وَلَا يُسْجَدُ لِلضَّرِيحِ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ.

وَالذَّبْحُ الَّذِي يَقَعُ عِبَادَةً بِأَنْ يَقْصِدَ بِهِ الذَّابِحُ تَعْظِيمَ الْمَذْبُوحِ لَهُ وَالتَّذَلُّلَ لَهُ وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ، هَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَصَرْفُ ذَلِكَ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى شِرْكٌ أَكْبَرُ.

وَالذَّبْحُ: إِزْهَاقُ الرُّوحِ بِإِرَاقَةِ الدَّمِ عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ.

وَالْحَدِيثُ الصَّحِيحُ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»[1].

وَدَلِيلُ النَّذْرِ وَالطَّوَافِ[2]: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ

وَالذَّبَائِحُ أَنْوَاعٌ: مَشْرُوعَةٌ، وَمُبَاحَةٌ، وَمُحَرَّمَةٌ.

فَأَمَّا الذَّبَائِحُ الْمَشْرُوعَةُ: فَالضَّحَايَا، وَالْهَدَايَا، وَالنُّذُورُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالْعَقِيقَةُ، وَالْوَلَائِمُ، وَالْإِكْرَامُ لِلضَّيْفِ، وَصَدَقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالْفِدْيَةُ فِي الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ.

وَأَمَّا الْمُبَاحَةُ: فَمِثْل الذَّبَائِحِ لِلْأَكْلِ، وَكَذَبْحِ الْجَزَّارِ لِلْبَيْعِ.

وَأَمَّا الْمُحَرَّمَةُ: فَكَالذَّبْحِ لِلْأَصْنَامِ، وَالذَّبْحِ لِلْجِنِّ، وَالذَّبْحِ لِلْقِبَابِ وَالْمَشَاهِدِ وَالْقُبُورِ، وَكَالذَّبْحِ فِي حَفَلَاتِ الزَّارِ، وَلِلْبِئْرِ الْجَدِيدَةِ قَبْلَ الشُّرْبِ مِنْ مَائِهَا، وَعِنْدَ دُخُولِ الْعَرُوسَيْنِ الْبَيْتَ مِنْ أَجْلِ الْجِنِّ لِدَفْعِهِمْ، وَهَذَا كُلُّهُ شِرْكٌ أَكْبَرُ.

وَمِنَ الذَّبَائِحِ الْمُحَرَّمَةِ: الذَّبْحُ فِي مَكَانٍ خَاصٍّ يُفَضِّلُ الذَّابِحُ الذَّبْحَ فِيهِ اعْتِقَادًا، وَكَذَلِكَ الذَّبْحُ لِلَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْقَبْرِ، وَعِنْدَ مَكَانٍ كَان يُعْبَدُ فِيهُ غَيْرُ اللَّهِ.

---

(١) أخرجه مسلم -من رواية علي رضي الله عنه- (١٩٧٨).

(٢) أَيْ: لَا يَنْذِرُوا لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَا يَطُوفُوا بِغَيْرِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، فَلَا يَجُوزُ=

وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

= النَّذْرُ لِلْأَوْلِيَاءِ وَلَا لِلصَّالِحِينَ، وَلَا الطَّوَافُ بِقُبُورِهِمْ كَمَا يَفْعَلُهُ الْجَاهِلُونَ بِقَبْرِ الْجِيلَانِيِّ وَالْحُسَيْنِ وَالْبَدَوِيِّ وَالدُّسُوقِيِّ وَغَيْرِهِمْ، فَإِنَّ هَذَا شِرْكٌ لَا مِرَاءَ فِيه، وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُبْتَدِعِينَ الْجَاهِلِينَ الْمُخَرِّفِينَ يَنْذِرُ لِلصَّالِحِينَ، وَبَعْضُهُمْ يُرْسِلُ أَمْوَالًا مِنْ بُلْدَانِ الْخَلِيجِ الْعَرَبِيِّ لِقُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ -بِزَعْمِهِمْ- فِي إِيرَانَ، لِلسَّدَنَةِ وَلِتَعْمِيرِ الْقِبَابِ!!

كَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الْهُنُودِ وَالْبَاكِسْتَانِيِّينَ، بِنَذْرِهِمْ لِعَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ أَمْوَالًا طَائِلَةً، وَإِرْسَالِهِمْ إِلَى ضَرِيحِهِ أَمْوَالًا وَافِرَةً، هَذَا مِمَّنْ زَعَمَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ!

وَأَمَّا شِيعَةُ الْهُنُودِ وَالْبَاكِسْتَانِيِّينَ وَالْإِيرَانِيِّينَ فَإِنَّهُمْ يَنْذِرُونَ أَمْوَالًا لِقُبُورِ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي النَّجَفِ وَكَرْبَلَاءَ وَخُرَاسَانَ وَقُم، وَيَشُدُّونَ الرِّحَالَ مِنْ مُخْتَلَفِ الْأَقْطَارِ إِلَى تِلْكَ الْقُبُورِ، لِلطَّوَافِ بِهَا، وَالِاسْتِغَاثَةِ بِسَاكِنِيهَا، وَطَلَبِ قَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَتَفْرِيجِ الْكُرُبَاتِ مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا خَالِقُ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ.

وَكَمَا لَا يَجُوزُ النَّذْرُ لِقُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، فَكَذَا لَا يَجُوزُ الْوَقْفُ مِنْ بُيُوتٍ وَعَقَارٍ عَلَى قُبُورِهِم، فَمَنْ نَذَرَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْوَفَاءُ؛ بَلْ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ، وَيَأْتِي بِالشَّهَادَتَيْنِ؛ لِأَنَّهُ مُرْتَدٌّ إِنْ عَلِمَ أَنَّ النَّذْرَ لِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ.

وَمَنْ وَقَفَ عَقَارًا أَوْ حَيَوَانًا عَلَى قُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ فَوَقْفُهُ بَاطِلٌ، أَوْ وَصَّى=

= لَهَا ، فَوَصِيَّتُهُ بَاطِلَةٌ ، وَذَلِكَ الْعَقَارُ أَوِ الْحَيَوَانُ لَا زَالَ عَلَى مِلْكِ صَاحِبِهِ ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَهُمُ الْهِدَايَةَ وَالتَّوْفِيقِ .

وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ : إِنَّ النَّذْرَ لِلَّهِ وَالثَّوَابَ لِلْوَلِيِّ كَلَامٌ بَاطِلٌ وَضَلَالٌ عَاطِلٌ ، فَأَيُّ شَيْءٍ أَدْخَلَ الْوَلِيَّ هُنَا ؟ ! إِنْ كَانَ قَصْدُهُ الصَّدَقَةَ فَلْيَتَصَدَّقْ عَلَى الْفُقَرَاءِ ، عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ أَبَوَيْهِ وَأَقَارِبِهِ ! وَمَا يُدْرِيهِ بِأَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ وَلِيٌّ ! ! وَالْأُمُورُ بِخَوَاتِمِهَا ، فَقَدْ يَكُونُ ظَاهِرُهُ صِدِّيقًا وَبَاطِنُهُ زِنْدِيقًا .

وَيُظْهِرُ كَذِبَهُمْ وَضَلَالَهُمْ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الْأَغْنَامَ وَيَذْبَحُونَهَا عِنْدَ الْقَبْرِ ، فَإِذَا أَنْكَرْتَ عَلَيْهِمْ قَالُوا : الذَّبْحُ لِلَّهِ وَالثَّوَابُ لِلْوَلِيِّ ! وَلَيْسَ الْقَصْدُ مِنْ هَذَا إِلَّا التَّلْبِيسَ وَقَلْبَ الْحَقَائِقِ ، وَهُمْ لَمْ يَقْصِدُوا إِلَّا الْوَلِيَّ ، عَلَى أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ صَرَّحُوا أَنْ لَا يُذْبَحَ لِلَّهِ بِمَكَانٍ يُذْبَحُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ، لِلْحَدِيثِ -الثَّابِتِ- عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ ، قَالَ : نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ -وَهِيَ هَضَبَةٌ بِالْحِجَازِ خَلْفَ يَنْبُعَ- ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : «هَلْ كَانَ فِيهَا -فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ- وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا : لَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَوْفِ بِنَذْرِكَ ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ» رواه أبو داود .

[وهو حديث ثابت أخرجه أبو داود (٣٣١٣)، وصححه الألباني في المشكاة (٣٤٣٧)] .

وَدَلِيلُ الْحَلِفِ: الْحَدِيثُ الْوَارِدُ(١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ». وَفِي لَفْظٍ: «فَقَدْ كَفَرَ».

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] [٢٦].

---

[٢٦] أَيْ: لَا نَعْبُدُ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا نَسْتَعِينُ إِلَا بِكَ، وَالدَّلِيلُ هَاهُنَا وَاضِحٌ؛ لِأَنَّ تَقْدِيمَ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ يُفِيدُ الْقَصْرَ وَالْحَصْرَ وَالِاخْتِصَاصَ، وَهُوَ هُنَا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أَيْ: لَا نَعْبُدُ إِلَّا أَنْتَ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أَيْ: لَا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِكَ.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٥٣٥)، وأبو داود (٣٢٥١)، وأحمد (٤٩٠٤)، و(٥٣٧٥)، وقال الترمذي: «حديث حسن»، وصححه ابن حبان (١١٧٧-موارد)، والحاكم (١/ ١٨، ٤/ ٢٩٧)، وأقره الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في «إرواء الغليل» (٢٥٦١).

والْحَلِفُ بِالشَّيْءِ تَعْظِيمٌ لَهُ، وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعَظَّمَ وَيُحْلَفَ بِهِ هُوَ اللَّهُ عز وجل، وَالْحَلِفُ بِغَيْرِهِ شِرْكٌ، وَجَرِيمَةٌ عُظْمَى.

وَالْحَلِفُ بِاللَّهِ كَاذِبًا كَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ، لَكِنَّ الشِّرْكَ -وَهُوَ الْحَلِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ- أَكْبَرُ مِنَ الْكَبَائِرِ -وَإِنْ كَانَ شِرْكًا أَصْغَرَ- فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَ ذَلِكَ، وَلَا تَأْخُذَهُ الْعَوَائِدُ الْجَاهِلِيَّةُ.

وَالْحَدِيثُ الصَّحِيحُ[1] عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ،

الِاسْتِعَانَةُ: طَلَبُ الْعَوْنِ، وَالسِّينُ وَالتَّاءُ لِلطَّلَبِ.

وَالِاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ مُتَضَمِّنَةٌ لِكَمَالِ الذُّلِّ لَهُ تَعَالَى، وَتَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، وَاعْتِقَادِ كِفَايَتِهِ، وَهَذِهِ الِاسْتِعَانَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ، وَهِيَ مَا تَضَمَّنَ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ هِيَ:

الْأَوَّلُ: الْخُضُوعُ وَالتَّذَلُّلُ لِلَّهِ.

وَالثَّانِي: الثِّقَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

وَالثَّالِثُ: الِاعْتِمَادُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَمَنِ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى مُحَقِّقًا هَذِهِ الْمَعَانِي، فَقَدْ أَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ.

وَالِاسْتِعَانَةُ بِالْأَمْوَاتِ مُطْلَقًا، وَالِاسْتِعَانَةُ بِالْأَحْيَاءِ عَلَى أَمْرٍ غَائِبٍ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مُبَاشَرَتِهِ شِرْكٌ.

---

(١) وهو جزء من حديث ابن عباس الطويل في وصية النبي ﷺ له: «**احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ**..» الحديث، أخرجه الترمذي رقم (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ١٣٨)، برقم (٣١٦، ٣١٧، ٣١٨).

وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ».

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] [٢٧].

---

[٢٧] تَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ يُفِيدُ الْحَصْرَ وَالْقَصْرَ؛ أَيْ: تَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَكَذَلِكَ فِي الرَّهْبَةِ وَهِيَ النَّوْعُ التَّالِي.

وَالْخَوْفُ مِنْ عِبَادَاتِ الْقُلُوبِ، وَهُوَ انْفِعَالٌ يَحصُلُ بِتَوَقُّعِ مَا فِيهِ هَلَاكٌ أَوْ ضَرَرٌ أَوْ أَذًى.

والْخَوْفُ الَّذِي هُوَ عِبَادَةٌ، هُوَ الْخَوْفَ الَّذِي يَكُونُ مَعَهُ تَعْظِيمٌ وَمَحَبَّةٌ لِلْمَخُوفِ، وَهُوَ خَوْفُ السِّرِّ، وَهُوَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، وَصَرْفُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى شِرْكٌ أَكْبَرُ.

وَأَمَّا الْخَوْفُ الطَّبْعِيُّ كَخَوْفِ الْإِنْسَانِ مِنَ السَّبُعِ، وَمِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْحَيَّةِ، وَمِنَ الْغَرَقِ، فَهَذَا لَا يُلَامُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ.

وَأَمَّا التَّوَكُّلُ فَحَقِيقَتُهُ: أَنْ يَعْتَمِدَ الْعَبْدُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ اعْتِمَادًا صَادِقًا فِي مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، مَعَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ الْمَأْذُونِ فِيهَا.

وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ كِفَايَةً وَحَسْبًا فِي

وَدَلِيلُ الرَّهْبَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١].

وَدَلِيلُ الِاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

وَهَذَا خِطَابٌ لِلرَّسُولِ ﷺ -كَمَا تَرَى-؛ أَيْ: لَا تَدْعُ -يَا مُحَمَّدُ- مِنْ دُونِ مَعْبُودِكَ وَخَالِقِكَ شَيْئًا لَا يَنْفَعُكَ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَضُرُّكَ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا؛ فَإِنْ فَعَلْتَ: فَدَعَوْتَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ فَإِنَّكَ إِذَنْ مِنَ الظَّالِمِينَ؛ أَيِ: الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ. وَالرَّسُولُ ﷺ مَعْصُومٌ مِنَ الشِّرْكِ وَمِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ[1]، وَإِنَّمَا هَذَا تَعْلِيمٌ لِلْأُمَّةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ

جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ، وَهُوَ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ وَعَلَامَاتِهِ.

وَالِاعْتِمَادُ عَلَى السَّبَبِ شِرْكٌ، وَتَرْكُ السَّبَبِ قَدْحٌ فِي الشَّرِيعَةِ، وَالْكَمَالُ: أَنْ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- وَأَنْ نَأْخُذَ بِالْأَسْبَابِ؛ حِينَئِذٍ يَتَحَقَّقُ التَّوْحِيدُ، وَيَتَحَقَّقُ الِاتِّبَاعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

---

(١) قيل: ومِنْ صَغَائِرِهَا أَيْضًا.

﴿ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

وَالْمُسْتَغِيثُ بِالْمَخْلُوقِ إِنَّمَا يُنَادِي وَيَدْعُو غَيْرَ اللَّهِ، كَأَنْ يَسْتَغِيثَ قَائِلًا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْقِذْنِي مِنْ هَذِهِ الشِّدَّةِ، أَوْ: يَا عَبْدَ الْقَادِرِ، أَوْ: يَا دُسُوقِيُّ، أَوْ: يَا رِفَاعِيُّ، أَوْ: يَا بَدَوِيُّ... إِلَخْ[٢٨].

---

[٢٨] حَتَّى إِنَّهُمْ - أَهْلَ السُّوَيْسِ- يَقُولُونَ: يَا حَامِيَ السُّوَيْسِ يَا غَرِيبُ، وَحَامِي السُّوَيْسِ وَغَيْرِ السُّوَيْسِ هُوَ اللَّهُ الَّذِي بِيَدِهِ مَقَالِيدُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

الِاسْتِغَاثَةُ: هِيَ طَلَبُ الْغَوْثِ، وَهُوَ الْإِنْقَاذُ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْهَلَاكِ.

وَالِاسْتِغَاثَةُ بِاللَّهِ ﷻ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَأَكْمَلِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]؛ أَيْ: مُتَتَابِعِينَ.

وَالِاسْتِغَاثَةُ بِالْأَمْوَاتِ أَوْ بِالْأَحْيَاءِ غَيْرِ الْحَاضِرِينَ غَيْرِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْإِغَاثَةِ شِرْكٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ إِلَّا مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ تَصَرُّفًا خَفِيًّا فِي الْكَوْنِ، فَيَجْعَلُ لَهُمْ حَظًّا فِي الرُّبُوبِيَّةِ.

وَأَمَّا الِاسْتِغَاثَةُ بِالْأَحْيَاءِ الْعَالِمِينَ الْقَادِرِينَ عَلَى الْإِغَاثَةِ فَهَذَا جَائِزٌ، كَالِاسْتِعَانَةِ بِهِمْ؛ قَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْمُسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللَّهِ دَاخِلٌ فِي عِدَادِ الظَّالِمِينَ الْمُشْرِكِينَ.

وَكَيْفَ يَسْتَغِيثُ الْعَاقِلُ الْمُؤْمِنُ بِغَيْرِ اللَّهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَاتِ أَوْ يَسْمَعُهَا؟!

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[1] [النمل: ٦٢].

مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الِاسْتِعَانَةِ وَالِاسْتِغَاثَةِ؛ أَنَّ الِاسْتِعَانَةَ هِيَ طَلَبُ الْعَوْنِ عَلَى مَا يَنْفَعُهُ، وَالِاسْتِغَاثَةُ طَلَبُ إِزَالَةِ الشِّدَّةِ، وَالِاثْنَتَانِ تَتَطَلَّبَانِ كَمَالَ الِافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ مَعَ اعْتِقَادِ كِفَايَتِهِ ﷻ.

---

(١) قَالَ الْعَبَّادِيُّ فِي مَنْظُومَتِهِ «هِدَايَةِ الْمُرِيدِ»:

وَمَنْ يَقُلْ غَيْرَ الْإِلَهِ يَمْلِكُ ... ضُرًّا وَنَفْعًا فَهُوَ أَيْضًا مُشْرِكُ

وَمَنْ يُنَادِ مَيِّتًا أَوْ غَائِبًا ... وَيَرْتَجِيهِ رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا

لِدَفْعِ ضُرٍّ أَوْ حُصُولِ نَفْعِ ... فَذَاكَ شِرْكٌ عِنْدَ أَهْلِ الشَّرْعِ =

= كَمَنْ يُنَادِي مُسْتَغِيثًا بِأَحَدْ
أَوْ مُسْتَعِينًا أَوْ رَجَا مِنْهُ الْوَلَدْ
إِذْ ذَاكَ فِي الْعَادَةِ لَيْسَ يَقْدِرُ
عَلَيْهِ إِلَّا الْوَاحِدُ الْمُقْتَدِرُ
وَكُلُّ مَا اسْتَحَالَ فِي الْعَادَاتِ
كَطَلَبِ الإِحْيَا مِنَ الأَمْوَاتِ
فَلَمْ يَجُزْ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَفْعَلَه
وأَنْكَرَ الشَّرْعُ عَلَى مَنْ فَعَلَه
فَمَا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْجُهَّالِ
تَدْعُونَ غَيْرَ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ
فِي جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ لِدَفْعِ ضُرِّ
أَوْ بُرْءِ سُقْمٍ وَارْتِفَاعِ شَرِّ
مَنْ لَيْسَ يُغْنِي نَفْسَهُ مِنْ ضُرِّهَا
وَلَمْ يُطِقْ إِنْقَاذَهَا مِنْ فَقْرِهَا
وَتَسْتَمِدُّونَ مِنَ الأَمْوَاتِ
تَيْسِيرَ عُسْرٍ وَقَضَا الْحَاجَاتِ
أَلَمْ تَعُوا أَنَّ الدُّعَا عِبَادَةْ
لَا يَمْتَرِي فِيهِ ذَوُو الشَّهَادَةْ
فَمَنْ دَعَا غَيْرَ الإِلَهِ أَحَدًا
يَمْنَحُهُ الْخَيْرَ وَيَكْفِيهِ الرَّدَى =

يُبَيِّنُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَنَحْوِهِمْ، كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ وَيَكْشِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ مُحْتَجًّا عَلَيْهِمْ فِي اتِّخَاذِهِمُ الشُّفَعَاءَ مِنْ دُونِهِ،[٢٩] وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ بِالِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ؛ أَيْ: لَيْسَ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ وَيَكْشِفُ السُّوءَ.

---

[٢٩] لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ غَيْرَ مَا قَرَّرَهُمْ؛ بَلْ مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ.

وَأَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الدُّعَاءُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾؛ أَيْ: أُجِبْ دُعَاءَكُمْ، وَأَعْفُ عَنْكُمْ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾؛ يَتَعَظَّمُونَ عَنْ إِفْرَادِي بِالْعِبَادَةِ وَحْدِي.

﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، أَذِلَّةً صَاغِرِينَ.

= فَإِنَّهُ لِمَنْ دَعَاهُ عَابِدُ ... سَوَاءٌ الْجَاهِلُ وَالْمُعَانِدُ

وَفِي ثُبُوتِ النَّهْيِ فِي الْكِتَابِ ... دَلَائِلٌ لِمُبْتَغِي الصَّوَابِ

يَكْفِيكَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ ادْعُونِي ... كَمِثْلِ مَا قَدْ قَالَ فَاعْبُدُونِي

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ (٤/ ٢٦٧)، وأَبُو دَاودَ (١٤٧٩)، والتِّرْمِذِي (٢٩٦٩)، وابْنُ حِبَّان (موارد- ٢٣٩٦)، من حديثِ النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ رضي الله عنه، وَصحَّحه الأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِع» (٣٤٠٧)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، قَالَ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةِ**».

فَمَنْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِشَيْءٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، سَوَاءٌ كَانَ الْمَدْعُوَّ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا، وَمَنْ دَعَا حَيًّا بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، مِثْلَ: أَنْ يَقُولَ: يَا فُلَانُ أَطْعَمْنِي، يَا فُلَانُ اسْقِنِي، فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ، وَمَنْ دَعَا مَيِّتًا أَوْ غَائِبًا بِمِثْلِ هَذَا فَهُوَ مُشْرِكٌ؛ لِأَنَّ الْمَيِّتَ أَوِ الْغَائِبَ لَا يُمكِنُ أَنْ يَقُومَ بِمِثْلِ هَذَا؛ فَدُعَاؤُهُ إِيَّاهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ لَهُ تَصرُّفًا فِي الْكَوْنِ فَيَكُونُ بِذَلِكَ مُشْرِكًا.

قَالَ تَعالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ١٤].

وَالدُّعَاءُ نَوْعَانِ:

دُعَاءُ مَسْأَلَةٍ: وَهُوَ دُعَاؤُهُ سُبْحَانَهُ بِجَلْبِ الْمَنْفَعَةِ وَدَفْعِ الْمَضَرَّةِ.

وَدُعَاءُ عِبَادَةٍ: وَهُوَ دُعَاءُ اللَّهِ تَعَالَى امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ.

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الرَّجَاءُ، وَهُوَ طَمَعُ الْإِنْسَانِ فِي أَمْرٍ قَرِيبِ الْمَنَالِ، وَقَدْ يَكُونُ بَعِيدَ الْمَنَالِ تَنْزِيلًا مَنْزِلَةَ الْقَرِيبِ، وَالرَّجَاءُ الْمُتَضَمِّنُ

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ»**[1].

لِلذُّلِّ وَالْخُضُوعِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ، فَإِذَا صُرِفَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ شِرْكٌ، وَقَدْ يَكُونُ أَكْبَرَ أَوْ أَصْغَرَ بِحَسَبِ مَا يَقُومُ بِقَلْبِ الرَّاجِي، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرْجَى إِلَّا اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ ﷻ.

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: الْمَحَبَّةُ، قَالَ تعالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَمَحَبَّةُ الْعِبَادَةِ هِي الَّتِي يَكُونُ مَعَهَا ذُلٌّ وَخُضُوعٌ لِلْمَحْبُوبِ، وَهَذِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ ﷻ.

وَمَحَبَّةُ اللَّهِ ﷻ هِيَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي فِيهَا تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ، وَإِلَيْهَا شَخَصَ الْعَامِلُونَ، وَإِلَى عَلَمِهَا شَمَّرَ السَّابِقُونَ، وَعَلَيْهَا تَفَانَى الْمُحِبُّونَ، وَبِرُوحِ نَسِيمِهَا تَرَوَّحَ الْعَابِدُونَ، فَهِيَ قُوتُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ.

---

(١) ضعيف الإسناد: رواه الطبراني -كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩) من حديث عبادة بن الصامت، وقال الهيثمي: «ورجاله رجال =

الرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ وَالنَّذْرُ لِغَيْرِ اللَّهِ

فَمَنْ رَكَعَ أَوْ سَجَدَ لِحَيٍّ أَوْ لِمَيِّتٍ، أَوْ نَذَرَ لِغَيْرِ اللَّهِ، كَأَنْ يَنْذِرَ لِقُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ أَوِ الصَّالِحِينَ، أَوْ يَذْبَحَ لَهُمْ، أَوْ لِلْأَشْجَارِ أَوْ لِلْعُيُونِ أَوْ لَلْكُهُوفِ أَوْ لِلْمَقَامَاتِ وَالأضرِحَةِ، أَوْ يَطُوفَ بِقَبْرِ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيٍّ، كَأَنْ يَطُوفَ بِقَبْرِ الرَّسُولِ، أَوْ بِقَبْرِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَوْ بِقَبْرِ الْحَسَنِ أَوِ الْحُسَيْنِ، أَوْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا، أَوْ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلانِيِّ، أَوِ الْبَدَوِيِّ، أَوِ الرِّفَاعِيِّ، أَوْ زَيْنَبَ، أَوْ رُقَيَّةَ، أَوْ غَيْرِهِمْ.

أَوْ يَسْتَغِيثَ بِهِمْ فِي الشَّدَائِدِ، كَأَنْ يَقُولَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْقِذْنِي، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَرِّجْ عَنِّي هَذَا الْكَرْبَ، الْمَدَدَ يَا عَبْدَ الْقَادِرِ يَا جِيلانِيُّ.

أَوْ يَطْلُبَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، كَأَنْ يَطْلُبَ مِنَ الْمَخْلُوقِ شَفَاعَةً عِنْدَ اللَّهِ، أَوْ مَغْفِرَةً لِلذُّنُوبِ، أَوْ تَحْصِيلًا لِلْجَنَّةِ، أَوْ نَجَاةً مِنَ النَّارِ، أَوْ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا، أَوْ أَنْ يُطْلِعَهُ عَلَى الْغَيْبِ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ

= الصحيح، غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث» اهـ.

وابن لهيعة ضعيف مختلط إلا في رواية العبادلة عنه، وهذه الرواية ليست منها، والله أعلم.

مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَيْسَتْ فِي قُدْرَةِ الْمَخْلُوقِ أَنْ يَفْعَلَهَا .

فَإِنَّهُ يَكُونُ بِكُلِّ فِعْلٍ مِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ مُشْرِكًا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ[1] شِرْكًا أَكْبَرَ، لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن

(١) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: الشِّرْكُ نَوْعَانِ: أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ، فَمَنْ خَلُصَ مِنْهُمَا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى الْأَكْبَرِ وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، وَمَنْ خَلُصَ مِنَ الْأَكْبَرِ وَحَصَلَ لَهُ بَعْضُ الْأَصْغَرِ مَعَ حَسَنَاتٍ رَاجِحَةٍ عَلَى ذُنُوبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ خَلُصَ مِنَ الْأَكْبَرِ ولَكِنْ كَثُرَ الْأَصْغَرُ حَتَّى رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ دخَلَ النَّارَ، فَالشِّرْكُ يُؤَاخَذُ بِهِ الْعَبْدُ إِذَا كَانَ أَكْبَرَ، أَوْ كَانَ كَثِيرًا صَغِيرًا، وَالْأَصْغَرُ الْقَلِيلُ فِي جَانِبِ الْإِخْلَاصِ الْكَثِيرِ لَا يُؤَاخَذُ بِه . اهـ من «تيسير العزيز الحميد» .

فَالشِّرْكُ الْأَكْبَرُ كَالسُّجُودِ وَالنَّذْرِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَالْأَصْغَرُ: كَالرِّيَاءِ وَالْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ، إِذَا لَمْ يَقْصِدْ تَعْظِيمَ الْمَخْلُوقِ كَتَعْظِيمِ اللَّهِ:

فِتْنَةُ الشِّرْكِ وَمَا مِنْ فِتْنَةٍ
مِثْلِهَا بَيْنَ الْبَرَايَا تُوجَدُ

لَيْسَ غَيْرُ اللَّهِ فِي سُلْطَانِهِ
مِنْ إِلَهٍ يُتَّقَى أَوْ يُعْبَدُ

مَالِكُ الْمُلْكِ تَعَالَى مَا لَهُ
فِي عُلَاهُ مِنْ شَرِيكٍ يُعْبَدُ

للشاعر أحمد محرم .

يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

أَمَّا مَا كَانَ فِي إِمْكَانِ الْمَخْلُوقِ الْحَيِّ، فَلَا بَأْسَ بِأَنْ يَسْتَعِينَ بِهِ، مِثْلَ: أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يُعِينَهُ فِي قَضَاءِ حَاجَةٍ، أَوْ إِنْقَاذٍ مِنْ غَرَقٍ أَوْ حَرِيقٍ أَوْ مَا سِوَى ذَلِكَ.

* * *

الْآيَاتُ الآمِرَةُ بِعِبَادَتِهِ وَالْمُبَيِّنَةُ عَجْزَ الْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةِ

هَذَا وَقَدْ أَكْثَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ مِنَ الْآيَاتِ الآمِرَةِ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ وَدُعَائِهِ وَحْدَهُ.

كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

وَقَالَ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وَقَالَ مُبَيِّنًا عَجْزَ تِلْكَ الْآلِهَةِ الَّتِي عَبَدَهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنْ تَجْلِبَ لَهُمْ نَفْعًا، أَوْ تَدْفَعَ عَنْهُمْ ضُرًّا؛ بَلْ وَلَا تَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهَا فَضْلًا عَنْ غَيْرِهَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

وَقَالَ مُبَيِّنًا أَنَّ النَّفْعَ وَالضُّرَّ بِيَدِهِ لَا بِيَدِ غَيْرِهِ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ

فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ [يونس: ١٠٧].

[فَإِذَا كَانَ الضُّرُّ النَّازِلُ بِالرَّسُولِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَهُ، فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ الرَّسُولُ؛ بَلْ وَمَنْ هُوَ دُونَهُ أَنْ يَدْفَعَ ضُرًّا نَزَلَ بِغَيْرِهِ؟!!]

وَأَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ أَنَّهُ يُبَكِّتُ النَّصَارَى وَيُوَبِّخُهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ لِلْمَسِيحِ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

فَانْظُرُوا كَيْفَ يَتَبَرَّأُ الْمَسِيحُ مِنْ عُبَّادِهِ النَّصَارَى وَيَقُولُ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ﴾ [المائدة: ١١٧].

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَأْمُرْ بِعِبَادَتِهِ، وَلَا يَرْضَى بِذَلِكَ، وَلَكِنْ يُرِيدُ اللَّهُ مِنَ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ أَنَّ عِبَادَةَ الْمَسِيحِ الَّذِي هُوَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ لَا تَجُوزُ، بَلْ وَيَكُونُ شِرْكًا، فَكَيْفَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، وَمِنَ الْأَشْجَارِ، وَمِنَ الْغِيرَانِ وَالْكُهُوفِ!!

أَلَمْ يَسْمَعْ هَؤُلَاءِ قَوْلَ اللَّهِ الْعَظِيمِ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

أَلَمْ يَنْعَ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِاتِّخَاذِهِمْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ[1]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

* * *

(١) روى الإمام أحمد والترمذي وحسَّنه، عن عديِّ بن حاتم، أنه سمع النبي يقرأ هذه الآية، فقلت له: إنَّا لسنا نَعْبُدُهمْ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ! ويُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فتُحِلُّونَهُ!» فقلتُ: بَلَى، قال: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»، فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ الْحَدِيثَ يُصَرِّحُ أَنَّ عِبَادَةَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ هِي طَاعَتُهُمْ فِي خِلَافِ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ -مُخْتَصَرًا-: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُقَلِّدِين الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْأَحْبَارَ أَرْبَابًا فِي تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَعَكْسِهِ، يَكُونُونَ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أحدهما: يَعْلَمُونَ أَنَّ الأَحْبَارَ وَالرُّهْبَانَ قَدْ بَدَّلُوا دِينَ اللَّهِ فَيَتَّبِعُونَهُمْ عَلَى التَّبْدِيلِ فَيْعَتَقِدُونَ تَحْلِيلَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَعَكْسَهُ، اتِّبَاعًا لِرُؤَسَائِهِمْ، فَهَذَا كُفْرٌ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ شِرْكًا، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا يُصَلُّونَ لَهُمْ وَيَسْجُدُونَ.

الثاني: يَعْتَقِدُونَ تَحْرِيمَ الْحَرَامِ وَعَكْسَهُ، لَكِنْ أَطَاعُوهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُسْلِمُ مَا يَفْعَلُهُ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مَعَاصٍ، فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ حُكْمُ أَمْثَالِهِمْ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ. اهـ. =

= وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ: الْمُقَلِّدُونَ لِلْمُجْتَهِدِينَ، الَّذِينَ يُخَالِفُونَ آيَ الْقُرْآنِ وَنَصَّ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الآتِي بِخِلَافِ مَذْهَبِهِمْ، فَيَجْمُدُونَ عَلَى الْمَذْهَبِ وَيَتَعَصَّبُونَ له؛ بِحُجَّةِ أَنَّ صَاحِبَ الْمَذْهَبِ أَعْلَمُ مِنَّا! وَالْمُتَحَذْلِقُ مِنْهُمْ يُؤَوِّلُ الْآيَةَ عَلَى حَسَبِ أَهْوَائِهِ وَمَذْهَبِهِ، وَيَرُدُّ الْحَدِيثَ بـ: «لَعَلَّهُ لَمْ يَصِحَّ عِنْدَ إِمَامِنَا»! أو: «لَعَلَّ لَهُ نَاسِخًا أَوْ مُخَصِّصًا لَا نَعْلَمُهُ»، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْذَارِ الْوَاهِيَةِ وَالشُّبُهَاتِ الدَّاحِضَةِ، وَأَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنْ هَذِهِ الآيَةِ الشَّرِيفَةِ، وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢]، ومِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

عَلَى أَنَّ الْأَئِمَّةَ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ- لَهُمُ الْفَضْلُ فِي تَدْوِينِ الْعُلُومِ -وَمَكَانَتُهُمْ لَا تَخْفَى-، وَقَدْ نَهَوْا عَنْ تَقْلِيدِهِمْ وَتَقْلِيدِ غَيْرِهِمْ، وَلَيْسَ كَلَامُنَا فِي الْعَاجِزِ، أَوْ مَنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ الدَّلِيلُ، فَإِنَّ هَذَا لَا بَأْسَ لَهُ أَنْ يُقَلِّدَ، وَإِنَّمَا كَلَامُنَا فِيمَنْ حَوَى مِنَ الْعُلُومِ مَا يُمَكِّنُهُ مِنْ فَهْمِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ، أَوْ ظَهَرَ لَهُ الدَّلِيلُ بِخِلَافِ الْمَذْهَبِ وَإِنْ لَمْ يَحْوِ مِنَ الْعِلْمِ شَيْئًا كَثِيرًا، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا لَا عُذْرَ لَهُ فِي تَرْكِ النَّصِّ وَالْأَخْذِ بِالتَّقْلِيدِ.

الْفَرْقُ بَيْنَ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ وَجَهْلُ الْكَثِيرِينَ بِهِ

الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُمَيِّزَ الْفَرْقَ بَيْنَ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَخْطَأَ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَضْلًا عَنِ الْجُهَلَاءِ.

وَذَلِكَ أَنَّ أُولَئِكَ الْمُخْطِئِينَ فَسَّرُوا كَلِمَةَ (الْإِلَهِ) بِالْقَادِرِ عَلَى الِاخْتِرَاعِ، أَوِ الْخَالِقِ، أَوْ الْمَالِكِ.

وَالْحَالُ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ؛ بَلِ الْإِلَهُ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَعْبُودٍ بِحَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ[1]، وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ. «**قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا، وَتَمْلِكُوا بِهَا الْعَرَبَ، وَتَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ**»[2].

قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ

---

(١) هَذَا أَصْلُ وَضْعِهِ فِي اللُّغَةِ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى الْمَعْبُودِ بِحَقٍّ.

(٢) حديث صحيح: أخرجه الحاكم (٢/ ٦١١، ٦١٢)، وصححه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، والدارقطني (٣/ ٤٤، ٤٥)، وأخرجه أحمد (٤/ ٦٣، ٥/ ٣٧١، ٣٧٦)، وقال الهيثمي (٦/ ٢٢): «ورجاله رجال الصحيح» اهـ.

هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٥-٧] [٣٠].

وَأَمَّا لَفْظُ الْجَلَالَةِ، فَلَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ الْعَظِيمِ، فَمُشْرِكُو الْعَرَبِ كَانُوا أَعْرَفَ بِمَعْنَى الْإِلَهِ مِنْ مُشْرِكِي زَمَانِنَا.

وَالْبَلِيَّةُ كُلُّ الْبَلِيَّةِ، وَالْجَهْلُ كُلُّ الْجَهْلِ، أَنَّ الْكَثِيرِينَ مِمَّنْ يَنْطِقُونَ

---

[٣٠] فَكَانُوا يَعْلَمُونَ مَعْنَى مَا جَاءَهُمْ بِهِ النَّبِيُّ الْمَأْمُونُ ﷺ، وَتَعَجَّبَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾ فَإِذَا كَانَ أَهْلُ الْبَاطِلِ يَتَوَاصَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ الْمُبِينِ؛ فَمَا بَالُ أَهْلِ الْحَقِّ لَا يَتَآزَرُونَ، وَلَا يَتَنَاصَرُونَ، وَلَا يَصْبِرُونَ عَلَى مَا كَلَّفَهُمْ بِهِ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَاءَهُمْ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾ [ص: ٦].

فَلِمَاذَا لَا يَصْبِرُ أَهْلُ الْحَقِّ عَلَى الْحَقِّ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَبَذْلِ الْمَجْهُودِ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إِخْلَاصًا لِلَّهِ فِي الدَّعْوَةِ، وَصَبْرًا عَلَى لَأْوَائِهَا؟ إِذَا كَانَ أَهْلُ الْبَاطِلِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الْكَافِرِينَ يَتَوَاصَوْنَ بَيْنَهُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى آلِهَتِهِمْ فَلِمَاذَا لَا يَتَوَاصَى أَهْلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَيْهِمْ بِهِ وَهَدَاهُمْ إِلَيْهِ؟!.

بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْنَى هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ!! [٣١]

---

[٣١] هَذَا هُوَ مَوْطِنُ الْخَلَلِ فِي الْحَقِيقَةِ: وَالْعَجَبُ أَنَّ أَكْثَرَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَا يَنْطَلِقُونَ مِنْ هَذِهِ الْبِدَايَةِ، وَهِيَ مُنْطَلَقُ جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ؛ فَإِنَّ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ أَجْمَعِينَ إِنَّمَا بَدَءُوا الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مِنْ هَذِهِ الْبِدَايَةِ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، فَأَمَرُوا بِعِبَادَةِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ جَمَاهِيرِ الْأُمَّةِ لَا يَعْرِفُ مَعْنَى: لَا إِلَهَ إِلَا اللَّهُ، عَلَى الْحَقِيقَةِ؛ فَضْلًا عَنْ مَعْرِفَةِ شُرُوطِهَا، وَمَعْرِفَةِ نَوَاقِضِهَا، وَمَعْرِفَةِ مُقْتَضَاهَا؛ فَضْلًا عَنِ الْإِتْيَانِ بِذَلِكَ تَحْقِيقًا وَصِدْقًا وَإِخْلَاصًا وَعَمَلًا، أَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَرُدَّ الشَّارِدِينَ إِلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ، وَأَنْ يُهَيِّئَ لِلْأُمَّةِ أَمْرَ رُشْدٍ تَأْخُذُ فِيهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى.

❊ ❊ ❊

مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ(١)

فَلَوْ عَرَفُوا أَنَّ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: أَيْ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ.

---

(١) شُرُوطُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ السَّبْعَةُ:

١- الْعِلْمُ الْمُنَافِي لِلْجَهْلِ: فَمَنْ لَمْ يَعْرِف الْمَعْنَى فَهُوَ جَاهِلٌ بِمَدْلُولِهَا. وَمَعْنَاهَا: الْبَرَاءَةُ مِنْ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ -وَهَذَا مَعْنَى النَّفْيِ-، وَإِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ -وَهَذَا مَعْنَى الْإِثْبَاتِ-.

٢- الْيَقِينُ الْمُنَافِي لِلشَّكِّ: لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُهَا وَهُوَ شَاكٌّ فِيمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ مَعْنَاهَا.

٣- الإِخْلَاصُ الْمُنَافِي لِلشِّرْكِ: فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُخْلِصْ أَعْمَالَهُ كُلَّهَا لِلَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ شِرْكًا يُنَافِي الْإِخْلَاصَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

٤- الصِّدْقُ الْمُنَافِي لِلنِّفَاقِ: لِأَنَّ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُونَهَا، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُطَابِقْ قَوْلُهُمْ مَا فِي جَنَانِهِمْ، فَصَارَ قَوْلُهُمْ كَذِبًا، لِمُخَالَفَةِ الظَّاهِرِ لِلْبَاطِنِ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١].

٥- الْقَبُولُ الْمُنَافِي لِلرَّدِّ: لِأَنَّ فِي النَّاسِ مَنْ يَقُولُهَا مَعَ مَعْرِفَةِ=

«فَلَا إِلَهَ» : نَفْيٌ لِجَمِيعِ الْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةِ.

وَ«إِلَّا اللَّهُ» : إِثْبَاتٌ لِلْمَعْبُودِ الْحَقِّ ﷻ.

لَوْ عَرَفُوا هَذَا الْمَعْنَى، وَعَرَفُوا أَنَّ مَا يَأْتُونَ بِهِ لِأَوْلِيَائِهِمْ وَسَادَتِهِمْ وَقُبُورِ صَالِحِيهِمْ، مِنَ الذَّبْحِ أَوِ النَّذْرِ لَهُمْ، أَوِ التَّبَرُّكِ بِتُرَابِ قُبُورِهِمْ، أَوِ الصَّلَاةِ إِلَيْهِمْ، أَوِ الطَّوَافِ بِأَضْرِحَتِهِمْ، أَوْ طَلَبِ الْمَدَدِ وَالْعَوْنِ مِنْهُمْ، تَأْلِيهٌ لِأُولَئِكَ الصَّالِحِينَ، وَالْإِلَهِيَّةُ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ.

= مَعْنَاهَا، لَكِنْ لَا يَقْبَلُ مِمَّنْ دَعَاهُ إِلَيْهَا، إِمَّا كِبْرًا، وإِمَّا حَسَدًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ.

٦- **الِانْقِيَادُ الْمُنَافِي لِلتَّرْكِ**: وَيَحْصُلُ الِانْقِيَادُ بِالْعَمَلِ بِمَا فَرَضَهُ اللَّهُ، وَتَرْكِ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ، وَالْتِزَام ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ حَقِيقَتُهُ أَنْ يُسْلِمَ الْعَبْدُ بِقَلْبِهِ وَجَوارِحِهِ لِلَّهِ، وَيَنْقَادَ لَهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

٧- **الْمَحَبَّةُ الْمُنَافِيَةُ لِضِدِّهَا -لِلرَّدِّ-**: فَلَا يَحْصُلُ لِقَائِلِهَا -لِقَائِلِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ- مَعْرِفَةٌ وَقَبُولٌ إِلَّا بِالْمَحَبَّةِ، لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ الْمُنَافِي لِلشِّرْكِ، فَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ أَحَبَّ دِينَهُ، وَمَنْ لَا، فَلَا. انتهى مُلَخَّصًا من كلام الشيْخِ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب -رحمهم اللَّه-.

لَعَلِمُوا أَنَّ هَذَا[٣٢] شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وَإِذْ ذَكَرْتُ لِلْقَارِئِ شُرُوطَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَمِفْتَاحُ الْجَنَّةِ دَارِ السَّلَامِ، فَمِنَ الْجَدِيرِ أَنْ أَذْكُرَ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ، فَهَاكَ بَيَانَهَا:

[٣٢] أَيِ: الَّذِي يَأْتُونَ بِهِ.

نَوَاقِضُ الْإِسْلَامِ

الْأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللَّهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلْجِنِّ أَوْ لِلْقُبُورِ.

الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيَسْأَلُهُمُ الشَّفَاعَةَ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ؛ فَقَدْ كَفَرَ إِجْمَاعًا.

الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ الْمُشْرِكِيْنَ، أَوْ شَكَّ فِيْ كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ كَفَرَ.

الرَّابِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ؛ كَالَّذِينَ يُفَضِّلُوْنَ حُكْمَ الطَّوَاغِيْتِ عَلَى حُكْمِهِ، فَهُوَ كَافِرٌ.

الْخَامِسُ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَوْ عَمِلَ بِهِ كَفَرَ.

السَّادِسُ: مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُوْلِ أَوْ ثَوابِهِ أَوْ عِقَابِهِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

السَّابِعُ: السِّحْرُ، وَمِنْهُ: الْصَّرْفُ وَالْعَطْفُ، فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِيْنَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

التَّاسِعُ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَسَعُهُ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيْعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ كَمَا وَسِعَ الْخَضِرَ الْخُرُوجُ عَنْ شَرِيْعَةِ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهُوَ كَافِرٌ.

الْعَاشِرُ: الْإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيْعِ هَذِهِ النَّوَاقِضِ بَيْنَ الْهَازِلِ وَالْجَادِّ، وَالْخَائِفِ إِلَّا الْمُكْرَه، وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُوْنُ خَطَرًا، وَأَكْثَرِ مَا يَكُوْنُ وُقُوْعًا فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا، وَيَخَافَ مِنْهَا، نَعُوْذُ بِاللَّهِ مِنْ مُوْجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ[1].

* * *

(١) كتاب (مجموعة التوحيد).

مَعْنَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

وَلَوْ عَرَفُوا أَنَّ مَعْنَى «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يَعْبُدُوا اللَّهَ إِلَا بِمَا شَرَعَ، لَا بِالْأَهْوَاءِ وَالبِدَعِ، وَتَدَبَّرُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وَقَوْلَهُ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وَقَوْلَهُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣][١].

وَقَوْلَهُ ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[٢].

وَقَوْلَهُ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِيَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ**

---

(١) أَمْره: أَيْ: أَمْر الرَّسُول، فَتْنَةٌ: أَيْ: شِرْكٌ أَوْ كُفْرٌ.

(٢) رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها والمتفق عليه: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» أَيْ: مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ.

وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1].

* * *

(١) حديث صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه في المقدمة (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٧)، وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ١٨).

بَيَانِ بَعْضِ الْبِدَعِ(١)

[لَوْ عَرَفَ النَّاسُ مَعْنَى الشَّهَادَتَيْنِ] لَعَلِمُوا أَنَّ كَثِيرًا مِنْ صَلَوَاتِهِمْ وَأَدْعِيَتِهِمْ وَأَذْكَارِهِمْ وَأَحْزَابِهِمْ -مِمَّا ابْتَدَعَهُ بَعْضُ الْمُقَلِّدِينَ الْمُتَعَصِّبِينَ، أَوِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْجَاهِلِينَ- أَنَّهَا مِنَ الْبِدَعِ وَالضَّلالَاتِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ.

---

(١) **البِدْعَةُ لُغَةً**: الْأَمْرُ الْمُحْدَثُ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ نَظِيرٌ؛ لِأَنَّ مَادَّةَ (بدع) لِلاخْتِرَاعِ.

وَعَرَّفَ عُلَمَاءُ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ الْبِدْعَةَ بِتَعَارِيفَ، أَحْسَنُهَا وأَوْضَحُهَا: «الْأَمْرُ الْمُحْدَثُ بَعْدَ الرَّسُولِ، بِقَصْدِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ»، فَبِقَصْدِ التَّقَرُّبِ خَرَجَتْ الْبِدَعُ الدُّنْيَوِيَّةُ؛ كَإِحْدَاثِ الْبَارُودِ وَالْقَهْوَةِ وَالْمنَاخِلِ وَالسَّيَّارَاتِ والطَّائِرَاتِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَتَقْسِيمُ بَعْضِ العُلَمَاءِ الْبِدْعَةَ إِلَى حَسَنَةٍ وَقَبِيحَةٍ تَقْسِيمٌ بَاطِلٌ لَا مُسْتَنَدَ لَهُ مِنَ الشَّرْعِ.

وَالتَّقْسِيمُ الصَّحِيحُ أَنَّهَا قِسْمَانِ: دِينِيَّةٌ وَدُنْيَوِيَّةٌ، وَقَدْ عَرَفْتَهُمَا مِمَّا سَبَقَ.

وَكَيْفَ يَكُونُ لِتَقْسِيمِهِمْ إِلَى حَسَنَةٍ وَقَبِيحَةٍ أَصْلٌ وَهُوَ يُنَافِي الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ؟! وَإِلَيْكَ الْبَيَانَ عَلَى وَجْهِ الِاخْتِصَارِ:

١ - **أَمَّا الْقُرْآنُ**، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، =

= فَمَا انْتَقَلَ الرَّسُولُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَالدِّينُ كَامِلٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الزِّيَادَةِ.

وَنُضِيفُ إِلَى ذَلِكَ: أَنَّ التَّشْرِيعَ مِنْ حَقِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ الْبَشَرِ، وَلَئِنْ جَازَتِ الزِّيَادَةُ فِي الدِّينِ جَازَ النَّقْصُ! وَلَا قَائِلَ بِذَلِكَ:

بِدِينِ الإِسْلَامِ إِنْ جَازَ زَيْدٌ
فَجَازَ النَّقْصُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَا
كَفَى ذَا الْقَوْلِ قُبْحًا يَا خَلِيلِي
وَلَا يَرْضَاهُ إِلَّا الْجَاهِلُونَا

٢- **وأَمَّا الْحَدِيثُ**: فَفِي الصَّحِيحِ: «إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، وَلَفْظُ «كُلّ» لِلْعُمُوم -وَهَذَا أَقْوَى أَلْفَاظِ الْعُمُومِ-، وَلَا يَخْرجُ فَرْدٌ مِنَ الْأَفْرَادِ الْمُبْتَدَعَةِ إِلَّا بِمُخَصِّصٍ، فَأَيْنَ الْمُخَصِّصُ هُنَا حَتَّى يُقَالَ هَذِهِ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ وَخَرَجَتْ مِنْ حَيِّزِ الْعُمُومِ؟ فَإِنْ كَانَ الْمُخَصِّصُ حَدِيثَ: «مَا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ» فَالْجَوَابُ: أَوَّلًا: إِنَّ هَذَا لَيس بِحَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ بَلْ مِنْ كَلَام ابْنِ مَسْعودٍ.

وَثَانِيًا: إِن (أل) فِي كَلِمَةِ «الْمُسْلِمُون» إِنْ كَانَتْ لِلِاسْتِغْرَاقِ -أَيْ: كُلُّ الْمُسْلِمِينَ-: فَإِجْمَاعٌ، وَالْإِجْمَاعُ حُجَّةٌ وَلَا كَلَامَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَتْ لِلْجِنْسِ، فَيَسْتَحْسِنُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ هَذَا الْأَمْرَ وَيَسْتَقْبِحُهُ الْبَعْضُ الْآخَرُ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ فِي أَكْثَرِ الْبِدَعِ، وَعَلَيْهِ سَقَطَ الِاحْتِجَاجُ بِهَذَا الْأَثَرِ.

مِثْلُ الذِّكْرِ بِالِاسْمِ الْمُفْرَدِ: (اللَّهُ اللَّهُ، أَوْ -بِالضَّمِيرِ-: يَا هُو يَا هُو).

وَمِثْلُ حِلَقِ الْمُرِيدِينَ -اجْتِمَاعُهُمْ فِي حَلْقَاتٍ- الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ اللَّهَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَذْكَارِ الْمُخْتَرَعَةِ.

وَكَصَلَاةِ الرَّغَائِبِ(1)، وَمِثْلُ حِزْبِ الْبَحْرِ وَأَمْثَالِهِ، وَابْتِهَالَاتٍ وَصَلَوَاتٍ وَمُنَاجَاةٍ وَإِنْشَادِ قَصَائِدَ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ فَوْقَ الْمَنَائِرِ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَفِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ وَيَوْمِهَا، وَبَعْضِ صِيَغِ صَلَوَاتٍ عَلَى الرَّسُولِ لَمْ تَرِدِ السُّنَّةِ بِهَا:

مِثْلَ قَوْلِهِمْ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَدَدَ مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ صَلَاةً دَائِمَةً بِدَوَامِ مُلْكِ اللَّهِ».

وَكَقَوْلِهِمْ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ»![٣٣].

---

[٣٣] فَهَذِهِ مِنَ الصِّيَغِ الْمُخْتَرَعَةِ الَّتِي لَمْ يُرْشِدْ إِلَيْهَا الرَّسُولُ ﷺ،

---

(١) مِنْ أَشْنَعِ الْبِدَعِ وَأَقْبَحِهَا: بِدْعَةُ صَلَاةِ الظُّهْرِ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، بِحُجَّةِ أَنَّ الْعَدَدَ نَاقِصٌ عَنِ الْأَرْبَعِينَ، أَوْ أَنَّ الْمَأْمُومِينَ لَا يُحْسِنُونَ الْقِرَاءَةَ، فَإِنَّ هَذِهِ الْبِدْعَةَ الضَّالَّةَ تَجُرُّ إِلَى الْكُفْرِ إِنِ اعْتَقَدَ أَنَّ صَلَاةَ الظُّهْرِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ فَرْضٌ، وَإِلَى الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالِ إِنِ اعْتَقَدَ أَنَّهَا سُنَّةٌ.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَأْتِي بِذَلِكَ فِي السَّحَرِ الْأَعْلَى فِيمَا يُسَمَّى بِالِابْتِهَالَاتِ وَغَيْرِهَا.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ مَكْحُولٍ الْأَزْدِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: أَرَأَيْتَ قَاتِلَ النَّفْسِ، وَشَارِبَ الْخَمْرِ، وَالسَّارِقَ، وَالزَّانِيَ، يَذْكُرُ اللَّهَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]؟

قَالَ: إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ هَذَا ذَكَرَهُ اللَّهُ بِلَعْنَتِهِ، حَتَّى يَسْكُتَ».

قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَد شَاكِر رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَمَكْحُولٌ الْأَزْدِيُّ، هُوَ الْعَتَكِيُّ الْبَصْرِيُّ، وَهُوَ تَابِعِيٌّ ثِقَةٌ، وَهُوَ غَيْرُ مَكْحُولٍ الشَّامِيِّ التَّابِعِيِّ الْكَبِيرِ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ عُمَرَ حَقٌّ، يَنْطَبِقُ تَمَامًا عَلَى مَا يَصْنَعُ أَهْلُ الْفِسْقِ وَالْمُجُونِ فِي عَصْرِنَا، مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مَوَاطِنِ فِسْقِهِمْ وَفُجُورِهِمْ، وَفِي الْأَغَانِي الدَّاعِرَةِ، وَالتَّمْثِيلِ الْفَاجِرِ الَّذِي يَزْعُمُونَهُ تَرْبِيَةً وَتَعْلِيمًا، وَفِي قَصَصِهِمُ الْمُفْتَرَى، الَّذِي يَجْعَلُونَهُ أَنَّهُ هُوَ الْأَدَبُ وَحْدَهُ أَوْ يَكَادُونَ، وَفِي تَلَاعُبِهِمْ بِالدِّينِ، بِمَا يُسَمُّونَهُ «الْقَصَائِدِ الدِّينِيَّةِ» وَ«الِابْتِهَالَاتِ»، وَالَّتِي يَتَلَاعَبُ بِهَا الْجَاهِلُونَ مِنَ الْقُرَّاءِ، يَتَغَنُّون بِهَا فِي مَوَاطِنِ الْخُشُوعِ وَأَوْقَاتِ التَّخَلِّي لِلْعِبَادَةِ، حَتَّى لَبَّسُوا عَلَى عَامَّةِ

لِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى الرَّسُولِ مِنْ أَجَلِّ الْقُرُبَاتِ، كَيْفَ لَا وَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ، بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وَالصِّيَغُ الْوَارِدَةُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الرَّسُولِ مُدَوَّنَةٌ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى الِاخْتِرَاعِ وَالِابْتِدَاعِ فِي صِيَغِهَا[٣٤]؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ﷺ عِبَادَةٌ، وَالْعِبَادَةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّوْقِيفِ[٣٥].

النَّاسِ شَعَائِرَ الْإِسْلَامِ، فَكُلُّ أُولَئِكَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فَيَذْكُرُهُمُ اللَّهُ بِلَعْنَتِهِ حَتَّى يَسْكُتُوا». [عُمْدَةُ التفسير (١/ ١٧٩)].

[٣٤] وَفِي ذَلِكَ مُصَنَّفَاتٍ جَلِيلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَأَجَلُّهَا وَأَعْظَمُهَا مُصَنَّفُ الْعَلَّامَةِ ابْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ «جِلَاءُ الْأَفْهَامِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ» ﷺ.

[٣٥] فَهَذِهِ عِبَادَةٌ مِنْ أَجَلِّ الْعِبَادَاتِ فَيَنْبَغِي أَلَّا نَخْتَرِعَ وَأَلَّا نَزِيدَ؛ فَقَدْ كَفَانَا النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ.

* * *

مِنْ صِيَغِ الصَّلَاةِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ

وَمِنَ الصِّيَغِ الْوَارِدَةِ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1] عَنِ ابْنِ نُمَيْرٍ، عَنْ رَوْحِ بْنِ عُبَادَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَافِعٍ الصَّائِغِ، أَنَّهُمْ (أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**.

وَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[2] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذَا السَّلامُ عَلَيْكَ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ»**.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٤٠٧) (٦٩) من حديث أبي حُميد الساعدي رضي الله عنه.

وَأَمَّا رَوْح بن عبادة وعبد اللَّه بن نافع الصائغ مِنْ شُيُوخِ شُيُوخِ مسلم، وليسا بصَحابِيَّيْنِ كما يتبادر من صنيع المؤلف رحمه الله.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٩٨).

شُبْهَةٌ لِلْقُبُورِيِّينَ وَرَدُّهَا [٣٦]

وَإِنَّمَا قُلْنَا: يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُمَيِّزَ الْفَرْقَ بَيْنَ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ وَتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْمُوَحِّدَ إِذَا أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ[٣٧] مَّا يَأْتُونَ مِنْ أَفَانِينِ الْعِبَادَاتِ، وَأَنْوَاعِ التَّضَرُّعَاتِ لِتِلْكَ الْقُبُورِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ عَمَلَكُمْ هَذَا شِرْكٌ، غَضِبُوا وَقَالُوا: كَيْفَ تَصِفُنَا بِالشِّرْكِ وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ، وَبِيَدِهِ النَّفْعُ وَالضُّرُّ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ؟! وَغَايَةُ الْأَمْرِ: أَنَّنَا نَجْعَلُ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءَ أَوِ الصُّلَحَاءَ شُفَعَاءَ يَشْفَعُونَ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ؛ لِأَنَّنَا مُلَطَّخُونَ بِأَنْجَاسِ الذُّنُوبِ، لَيْسَ لَنَا قَدْرٌ حَتَّى نَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ ذُنُوبَنَا، أَوْ يَقْضِيَ حَاجَتَنَا، أَوْ يَدْفَعَ ضُرَّنَا، فَنَسْتَشْفِعَ بِهَؤُلَاءِ وَنَجْعَلَهُمْ وُسَطَاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ، لِمَا نَعْلَمُهُ لَهُمْ مِنَ الْجَاهِ وَالْمَنْزِلَةِ بِمَثَابَةِ الْوَزِيرِ عِنْدَ الْمَلِكِ؛ فَإِنَّ أَفْرَادَ الرَّعِيَّةِ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى الْمَلِكِ إِذَا حَلَّ بِهِمْ ظُلْمٌ أَوْ كَارِثَةٌ، فَيَتَوَسَّلُونَ بِالْوَزِيرِ أَوِ الْمُقَرَّبِ؛ لِيَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ الْمَلِكِ أَوِ

---

[٣٦] وَالصَّوَابُ أَنْ يَقُولَ: لِلْقَبْرِيِّينَ، لَا لِلْقُبُورِيِّينَ؛ فَالنِّسْبَةُ تَكُونُ لِلْوَاحِدِ لَا لِلْجَمْعِ.

[٣٧] أَيْ: عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَهُمَا.

السُّلْطَانِ، أَوِ الْوَزِيرِ لِيَقْضِيَ لَهُمْ حَوَائِجَهُمْ أَوْ يَدْفَعَ عَنْهُمُ الظُّلْمَ. [٣٨]

فَنَقُولُ لِهَؤُلَاءِ الْجُهَلَاءِ فِي الْجَوَابِ:

أَوَّلًا: إِنَّ عَقِيدَتَكُمْ هَذِهِ هِيَ عَقِيدَةُ الْمُشْرِكِينَ بِذَاتِهَا!

قَالَ اللَّهُ إِخْبَارًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ السَّالِفِينَ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] [٣٩].

---

[٣٨] هَذِهِ الشُّبْهَةُ مِنَ الشُّبُهَاتِ الْعَظِيمَةِ؛ بَلْ هِيَ أَعْظَمُ شُبُهَاتِهِمْ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ هَا هُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ مُلَخَّصُ مَا ذَكَرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «كَشْفِ الشُّبُهَاتِ»؛ فَإِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ تِلْكَ الشُّبْهَةَ، وَقَرَّرَ أَنَّهَا أَعْظَمُ شُبُهَاتِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَ كَشْفَهَا وَدَحْضَهَا، وَأَتَى الشَّيْخُ هَا هُنَا مُلَخِّصًا مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «كَشْفِ الشُّبُهَاتِ»؛ أَتَى بِهِ مَبْسُوطًا فِي مَوْضِعٍ وَمُلَخَّصًا فِي مَوْضِعٍ فَرَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً وَاسِعَةً.

[٣٩] فَالْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ لَمْ يَعْتَقِدُوا فِي مَعْبُودَاتِهِمْ أَنَّهَا تَخْلُقُ أَوْ تَمْلِكُ أَوْ تُدَبِّرُ، وَلَكِنْ كَانُوا يَقُولُونَ: لَهَا قَدْرٌ وَمَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ فَنَحْنُ إِنَّمَا نَتَّخِذُهَا شُفَعَاءَ عِنْدَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ!

وَهُنَاكَ فَرْقٌ ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ فِي «كَشْفِ الشُّبُهَاتِ» فَقَالَ: أَمَّا الْأَوَّلُونَ؛ فَإِنَّهُمْ فِي الْغَالِبِ إِنَّمَا كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْوُسَطَاءَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ مِنَ النَّبِيِّينَ، أَوْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، أَوِ مِنَ الصَّالِحِينَ، أَوْ مِنَ الشَّجَرِ، أَوْ مِنَ الْحَجَرِ؛ فَإِذَنْ؛ هُمْ يَتَّخِذُونَ الشُّفَعَاءَ وَالْوُسَطَاءَ عِنْدَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مِمَّنْ يُطِيعُ وَلَا يَعْصِي اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

وَأَمَّا الْمُتَأَخِّرُونَ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْمِدُونَ إِلَى أَفْجَرِ الْخَلْقِ فَيَتَّخِذُونَهُ وَسِيطًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّبِّ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، مِمَّنْ يَتْرُكُ الصَّلَاةَ، وَمِمَّنْ يُجَاهِرُ بِالْفَاحِشَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ، وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ قَدْرٌ وَمَكَانَةٌ عِنْدَ اللَّهِ، فَغَلُظَ مَا أَتَى بِهِ الْمُتَأَخِّرُونَ جِدًّا عَمَّا أَتَى بِهِ الْمُتَقَدِّمُونَ.

شَيْءٌ آخَرُ: أَنَّ الْمُتَقَدِّمِينَ إِنَّمَا كَانُوا يَفْزَعُونَ إِلَى تِلْكَ الْوُسَطَاءِ عِنْدَ الرَّخَاءِ لَا عِنْدَ الشِّدَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا اشْتَدَّ بِهِمُ الْأَمْرُ أَخْلَصُوا، كَمَا إِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ وَجَاءَهُمْ أَمْرٌ لَا يُدْفَعُ؛ فَإِنَّهُمْ حِينَئِذٍ يُخْلِصُونَ، يَتْرُكُونَ تِلْكَ الْوَسَائِطَ وَالشُّفَعَاءَ وَيَلْجَئُونَ إِلَى رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، فَكَانُوا يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَأَمَّا الْمُتَأَخِّرُونَ؛ فَإِنَّهُمْ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ وَفِي الشِّدَّةِ عَلَى السَّوَاءِ؛ بَلْ يَغْلُظُ شِرْكُهُمْ وَتَعْلُو اسْتِغَاثَاتُهُمْ فِي الشِّدَّةِ أَكْثَرَ مِمَّا تَعْلُو وَتَشْتَدُّ وَتَغْلُظُ فِي الرَّخَاءِ؛ فَإِذَا أَصَابَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ شَيْءٌ فَزِعَ إِلَى شَفِيعِهِ يَقُولُ: يَا فُلَانُ اكْشِفْ عَنِّي؛

وَقَالَ اللَّهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى إِخْبَارًا عَنْهُمْ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣].

فَاعْتِقَادِ أُولَئِكَ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ... إِلَخْ لَمْ يَنْفَعْهُمْ، وَلَمْ يَحْقِنْ دِمَاءَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ لِيُقَرِّبُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَلِيَشْفَعُوا لَهُمْ،[٤٠] وَلَمْ يَعْبُدُوهَا لِأَنَّهَا خَالِقَةٌ وَرَازِقَةٌ وَمُدَبِّرَةٌ لِلْأُمُورِ[١]، وَلَا يَخْفَى هَذَا عَلَى أَحَدٍ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَدَبَّرَهُ.

بَلْ إِنَّ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ يَفْزَعُ لِأُولَئِكَ حَتَّى فِي الْأُمُورِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ كَثِيرَ مَجْهُودٍ، كَثِيرٌ جِدًّا مِنَ النَّاسِ تَسْمَعُهُمْ إِذَا هَمَّ بِأَنْ يَقُومَ يَقُولُ: يَا سَيِّدُ، فَهُوَ يَسْتَعِينُ بِمَنْ! يُنَادِي مَنْ!

[٤٠] هَذَا مَوْطِنُ الْخُصُومَةِ وَمَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ فَلَمْ يَفْهَمْ حَقِيقَةَ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُكَ أَنْ تَعْرِفَ دِينَ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا يَلْزَمُكَ أَنْ تَعْرِفَ دِينَ الْمُرْسَلِينَ؛ لِأَنَّكَ إِنْ لَمْ تَعْرِفْ هَذَا وَهَذَا؛ فَلَنْ تَعْرِفَ الْحَقَّ الْمُبِينَ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينُ ﷺ.

---

(١) إِذْ لَا يَتَصَوَّرُ عَاقِلٌ عَرَفَ حَالَ الْمُشْرِكِينَ، وَمَا أُوتُوا مِنْ فَهْمٍ وَعَقْلٍ أَنْ يَنْحِتُوا أَصْنَامًا بِأَيْدِيهِمْ وَيَعْتَقِدُوا أَنَّهَا خَالِقَةٌ وَرَازِقَةٌ وَمُدَبِّرَةٌ، وَلَا يُوجَدُ عَاقِلٌ يَعْتَقِدُ ذَلِكَ، لَا فِي الْوَثَنِيِّينَ السَّالِفِينَ، وَلَا الْحَاضِرِينَ، وَلَكِنْ عَبَدُوهَا عَلَى أَنَّهَا صُوَرُ قَوْمٍ صَالِحِينَ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهَا بِالعِبَادَاتِ لِكَيْ تَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، كَمَا نَطَقَ الْقُرْآنُ بِذَلِكَ.

تَشْبِيهُ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ

وَثَانِيًا: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْجُهَلَاءِ قَدْ شَبَّهُوا الرَّبَّ الْعَظِيمَ بِالْمَلِكِ الْبَشَرِيِّ .[٤١]

قَدْ شَبَّهُوا رَبَّ الْعَالَمِينَ بِالسُّلْطَانِ الْمَخْلُوقِ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ .

قَدْ شَبَّهُوا أَعْدَلَ الْعَادِلِينَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ بِالْمَلِكِ الْمَخْلُوقِ الَّذِي قَدْ يَكُونُ مِنْ أَظْلَمِ الظَّالِمِينَ .

قَدْ شَبَّهُوا اللَّهَ بِالْمَخْلُوقِ وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ بِالشُّفَعَاءِ وَالْأَنْدَادِ، فَجَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ وَالتَّشْبِيهِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يُقَاسُ الْإِلَهُ بِالْمَخْلُوقِ، وَلَا الرَّبُّ الْمَالِكُ بِالْمَمْلُوكِ .

وَبَيَانُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الِاخْتِصَارِ: أَنَّ الْمَلِكَ الْبَشَرِيَّ قَدْ لَا يَعْلَمُ بِالظُّلْمِ الْوَاقِعِ عَلَى ذَلِكَ الْمُتَوَسِّلِ بِالْوَزِيرِ، أَوْ يَعْلَمُ أَنَّ الظُّلْمَ مِنْ أَحَدِ أَبْنَائِهِ أَوْ عَشِيرَتِهِ مِمَّنْ يُجَامِلُهُمْ وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَجْرَحَ عَوَاطِفَهُمْ! وَأَنَّ الظُّلْمَ صَدَرَ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ .

فَأَنَّى يُقَاسُ الْخَالِقُ بِالْمَخْلُوقِ؟!

---

[٤١] أَيْ: لَمَا قَالُوا: إِنَّ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا هُمْ كَالْوَزِيرِ يَفْزَعُ إِلَيْهِ النَّاسُ حَتَّى يُوصِلَ إِلَى الْمَلِكِ مَا وَقَعَ بِالنَّاسِ مِنْ بَلَاءٍ أَوْ كَوَارِثَ .

فَهَلِ اللَّهُ لَا يَعْلَمُ بِالظُّلْمِ الْوَاقِعِ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ؟! أَوْ لَا يَعْلَمُ بِحَاجَتِهِ، أَوْ بِالضُّرِّ الَّذِي مَسَّهُ؟! وَهُوَ الْقَائِلُ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

وَهَلِ اللَّهُ يَصْدُرُ مِنْهُ الظُّلْمُ لِأَحَدٍ؟!

أَوْ لَهُ أَقْرِبَاءُ يُنْزِلُونَ ظُلْمَهُمْ بِأَحَدٍ مِنَ الْعِبَادِ؟!

وَهَلْ لِلَّهِ وَزِيرٌ أَوْ مُعِينٌ أَوْ ظَهِيرٌ حَتَّى يَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ الْعِبَادُ؛ لِيَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ذَلِكَ الْوَزِيرُ أَوْ الْمُعِينُ أَوِ الظَّهِيرُ؟!

فَمَا أَفْسَدَ هَذَا الْقِيَاسَ وَأَخْبَثَهُ! وَمَا أَجْهَلَ هَؤُلَاءِ وَأَكْفَرَهُمْ بِاللَّهِ!!

* * *

لَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ إِلَّا فِي تَبْلِيغِ الشَّرَائِعِ

وَأَيُّ حَاجَةٍ إِلَى وَاسِطَةٍ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]؟

وَيَقُولُ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَالْوَاسِطَةُ لِلتَّبْلِيغِ هُمُ الرُّسُلُ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

أَمَّا الْوَاسِطَةُ فِي رَفْعِ ضُرٍّ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ، فَتِلْكَ عَقِيدَةُ الْمُشْرِكِينَ!

كَيْفَ تَكُونُ وَاسِطَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1] [غافر: ٦٠].

لَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ادْعُوا أَوْلِيَائِي، أَوِ ادْعُوا أَنْبِيَائِي، أَوِ اسْتَغِيثُوا بِأَحِبَّائِي وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِي.

بَلْ قَالَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وَقَالَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ

---

(١) داخرين: صاغرين.

عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»[١].

وَكَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ»[٢].

وَلَمْ يَقُلِ الرَّسُولُ ﷺ: ادْعُوا الْأَنْبِيَاءَ حَتَّى يَطْلُبُوا مِنَ اللَّهِ لَكُمْ، أَوْ تَوَسَّلُوا بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ!

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، وأحمد (٢/ ٤٤٢، ٤٤٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٨)، والحاكم (٨٨٥)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩)، والحاكم (١/ ٤٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وذكره المنذري في الترغيب (٢/ ٢٧٧)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٥٩٦)، و«صحيح الجامع» (٢٤٣).

عَدَمُ ثُبُوتِ التَّوَسُّلِ عَنِ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ

وَلِذَا لَمْ يَثْبُتِ التَّوَسُّلُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، كَمَا لَمْ يَثْبُتِ التَّوَسُّلُ عَنِ الصَّحَابَةِ بِالرَّسُولِ ﷺ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَنِ التَّابِعِينَ، وَلَا عَنِ الْأَئِمَّةِ الْمُعْتَبَرِينَ.

التَّوَسُّلُ قِسْمَانِ: مَشْرُوعٌ وَمَمْنُوعٌ.

أَمَّا الْمَشْرُوعُ، فَهُوَ قِسْمَانِ أَيْضًا:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: هُوَ التَّوَسُّلِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ [أَيْ: بِالْإِيمَانِ بِرَسُولِهِ]، وَبِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

وَلَمْ يَقَعْ فِي هَذَا خِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، سَوَاءٌ كَانَ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ أَوْ بَعْدَ مَوْتِهِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الْمَشْرُوعِ: التَّوَسُّلُ بِدُعَائِهِ ﷺ يَوْمَ كَانَ حيًّا، بِأَنْ يَأْتِيَ السَّائِلُ فَيَسْأَلَ الرَّسُولَ ﷺ أَنْ يَطْلُبَ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْعَافِيَةَ.

كَمَا طَلَبَ الْأَعْرَابِيُّ مِنَ الرَّسُولِ أَنْ يَسْتَسْقِيَ لَهُمْ[1].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١٠١٣)، ومسلم (٨٩٧) (٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَكَمَا طَلَبَ الْأَعْمَى مِنَ الرَّسُولِ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ بِرَدِّ بَصَرِهِ- إِنْ صَحَّ[(١)] حَدِيثُ الْأَعْمَى[(٢)].

---

(١) [قَالَ الْمُؤَلِّفِ:] لَمْ يَصِحَّ حَدِيثُ الْأَعْمَى، وهو حديث عُثْمَان بن حَنيف، قَال في «صيانة الإنسان»: هو غير ثابتٍ؛ لأَنَّ في سنده أبا جعفر الرازي، وهو سيِّئ الحفظ، يَهِم كثيرًا، فلا يُحتجُّ بما ينفرد به. اهـ، وعلى فَرْضِ صِحَّتِهِ فَإِنَّهُ تَوَسُّلٌ بِدُعَائِهِ ﷺ؛ لِأَنَّ فِي الحديث عن عثمان بن حَنيف: أنَّ رجلًا ضريرًا أَتَى النَّبِيَّ، فَقَالَ: يا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، قَال: «**إِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَلِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لآخِرَتِكَ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ**»، قال: لَا، بلِ ادْعُ اللَّهَ لِي، فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وأَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، وَأَنْ يَدْعُوَ بالدعاء المَذْكُورِ فِي الحديث، فالحديثُ نصٌّ فِي التَّوَسُّلِ بدعائه ﷺ، والتَّوَسُّلُ بِدُعَاءِ الرسول وَغَيْرِهِ فِي الْحَيَاةِ جَائِزٌ لَا خِلَافَ فِيهِ، وَلَيْسَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ، أَوْ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ، حَتَّى يَصِحَّ اسْتِدْلَالُهُمْ.

(٢) حديث صحيح: خلافًا لِمَا ذهب إليه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من الشَّكِّ في صحته.

وقد أخرجه أحمد (٤/ ١٣٨)، والترمذي (٣٥٧٨)، وابن ماجه (١٣٨٥)، والحاكم (١/ ٣١٣) من طريق شعبة، عن أبي جعفر، عن عمارة بن خزيمة، عن عثمان بن حنيف «أن رجلًا ضريرًا..» الحديث، وإسناده صحيح.

وقد ضعف المؤلفُ الحديثَ لظَنِّه أن أبا جعفر هو الرازي، وإنما=

وَكَمَا طَلَبَتِ الْجَارِيَةُ السَّوْدَاءُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَهَا مِنَ الصَّرَعِ، فَخَيَّرَهَا الرَّسُولُ بَيْنَ الصَّبْرِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْعُوَ لَهَا، فَاخْتَارَتِ الصَّبْرَ، وَسَأَلَتْهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لَهَا أَلَّا تَتَكَشَّفَ عِنْدَمَا يَأْتِيهَا الصَّرَعُ، فَدَعَا لَهَا(1)[٤٢].

وَهَذَا التَّوَسُّلُ الَّذِي هُوَ بِدُعَائِهِ يَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ ﷺ.

فَلَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَأْتِيَ قَبْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَسْأَلَهُ حَاجَةً، أَوْ غُفْرَانَ ذَنْبٍ، أَوْ كَشْفَ ضُرٍّ [٤٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ انْقَطَعَ الْمَطَرُ وَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يَسْتَسْقِيَ، وَطَلَبَ مِنَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ

---

[٤٢] فَكَانَتْ بَعْدَ ذَلِكَ تُصْرَعُ وَلَا تَتَكَشَّفُ رضي الله عنها.

[٤٣] أَوْ زِيَادَةَ غِنًى، أَوْ رَدَّ غَائِبٍ، أَوْ نَقْلَ مَرِيضٍ مِنْ حَالِ الْمَرَضِ إِلَى حَالِ الْعَافِيَةِ.

= أبو جعفر المذكور هو الخطمي كما صرَّح بذلك الترمذي.

وعند ابن ماجه، والحاكم، عن أبي جعفر «المدني»، والمدني هو الخطمي، واسمه عمير بن يزيد، وقد وثقه ابن معين والنسائي.

(١) أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦) (٥٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

لَهُمْ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا أَجْدَبْنَا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا**» ثُمَّ قَالَ: «**قُمْ يَا عَبَّاسُ فَادْعُ اللَّهَ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

فَلَوْ كَانَ التَّوَسُّلُ بِالرَّسُولِ بَعْدَ مَوْتِهِ جَائِزًا، لَمَا عَدَلَتِ الصَّحَابَةُ عَنِ الرَّسُولِ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ [٤٤]، وَهَذَا مِنَ الْوُضُوحِ بِمَكَانٍ لَا يَخْفَى إِلَّا عَلَى مَنْ أَعْمَاهُ التَّعَصُّبُ وَالْعِنَادُ، وَسَلَكَ سَبِيلَ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْفَسَادِ.

---

[٤٤] أَيْ: وَلَذَهَبُوا إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَاذُوا - حَاشَاهُمْ - بِهِ مُسْتَغِيثِينَ بِهِ، مُتَوَسِّلِينَ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَعْلَمَ بِأُمُورِ التَّوْحِيدِ وَالْعَقِيدَةِ مِنْ كُلِّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ، لِذَلِكَ قَدَّمَ عُمَرُ بِمَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا- عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ تَقْدِيمِهِ قَوْلًا: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا أَجْدَبْنَا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا ﷺ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا، تَقَدَّمْ يَا عَبَّاسُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا»؛ فَتَوَسَّلَ بِدُعَائِهِ عِنْدَ اللَّهِ -رَبِّ الْعَالَمِينَ- وَلَوْ كَانَ التَّوَسُّلُ بِالرَّسُولِ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ جَائِزًا لَمَا

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٠).

قال الحافظ في «الفتح» (٢/ ٤٩٧): «ويُستفادُ من قصَّة العبَّاس: الاستشفاع بِأهلِ الخَيْرِ والصلاح وأهل بيت النبوة، وفيه فضل العباس، وفضل عمر لتواضعه للعباس ومعرفته بحقه» اهـ.

عَدَلَتِ الصَّحَابَةُ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ!

وَبَعْضُ النَّاسِ يَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا التَّوَسُّلَ هُوَ بِجَاهِ الْعَبَّاسِ، وَهَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ بَلْ هَذَا التَّوَسُّلُ إِنَّمَا هُوَ بِدُعَاءِ الْعَبَّاسِ رضي الله عنه، كَمَا كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يَأْتُونَهُ ﷺ فِي حَيَاتِهِ وَيَتَوَسَّلُونَ بِهِ؛ أَيْ: يَطْلُبُونَ مِنْهُ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لَهُمْ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، فَطَلَبَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَسْتَسْقِيَ لَهُمْ، فَدَعَا اللَّهَ فَسُقُوا، ثُمَّ جَاءَ الْأَعْرَابِيُّ الْجُمُعَةَ التَّالِيَةَ فَشَكَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ انْقِطَاعَ الطُّرُقِ وَتَهَدُّمَ الْمَبَانِي، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لَهُمْ لِيُمْسِكَ عَنْهُمُ الْأَمْطَارَ.

فَهَذَا هُوَ التَّوَسُّلُ الْمَشْرُوعُ.

وَتَأَمَّلْ كَيْفَ عَدَلَ عُمَرُ رضي الله عنه عَنِ التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى التَّوَسُّلِ بِدُعَاءِ الْعَبَّاسِ رضي الله عنه لِعِلْمِهِ أَنَّ التَّوَسُّلَ بِهِ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ مُتَعَذِّرٌ؛ لِأَنَّ الدُّعَاءَ مِنْهُ ﷺ لِلَّهِ عِبَادَةٌ، فَهِيَ عَمَلٌ قَدِ انْقَطَعَ بَعْدَ مَوْتِهِ ﷺ.

وَالتَّوَسُّلُ الَّذِي طَلَبَهُ عُمَرُ وَغَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْعَبَّاسِ رضي الله عنه: أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ لَهُمْ.

فَكَيْفَ يُقَالُ: إِنَّهُمْ تَوَسَّلُوا إِلَى اللَّهِ بِجَاهِ الْعَبَّاسِ وَذَاتِهِ؟ حَاشَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ.

وَمِنَ الشُّبُهَاتِ فِي هَذَا الْأَمْرِ: الاِسْتِدْلَالُ بِحَدِيثِ عُثْمَانَ بْنِ حَنِيفٍ ﵁، وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا حُجَّةَ فِيهِ عَلَى التَّوَسُّلِ بِالذَّاتِ؛ بَلْ هُوَ تَوَسُّلٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِدُعَاءِ النَّبِي ﷺ حَالَ حَيَاتِهِ، وَهُوَ تَوَسُّلٌ مَشْرُوعٌ.

وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّ الْأَعْمَى جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي».

وَقَدْ وَعَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالدُّعَاءِ، فَقَالَ: «إِنْ شِئْتَ دَعْوتُ لَكَ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ؛ فَهُو خَيْرٌ لَكَ».

وَقَدْ أَصَرَّ الْأَعْمَى عَلَى طَلَبِ الدُّعَاءِ، بِقَوْلِهِ: «ادْعُه».

وَقَوْلُ الْأَعْمَى فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ»، يَنْفِي التَّوَسُّلَ بِالذَّاتِ؛ إِذ الشَّفَاعَةُ هِي الدُّعَاءُ، وَالْمَعْنَى: اللَّهُمَّ اقْبَلْ شَفَاعَتَهُ ﷺ فِيَّ؛ أَيْ: دُعَاءَهُ فِيَّ.

وَقَدْ وَرَد فِي بَعْضِ رِوَايَاتِ الْحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ وَشَفِّعْنِي فِيه»، وَكَيْفَ تَكُونُ شَفَاعَةُ الْأَعْمَى لَهُ ﷺ؟! الْمَعْنَى: اقْبَلْ سُؤَالِي لَكَ فِي أَنْ يَشْفَعَ فِيَّ نَبِيُّكَ ﷺ.

فَكُلُّ مَا تَقَدَّمَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَوْلَ الْأَعْمَى: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ»، فِيهِ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِدُعَاءِ نَبِيِّكَ ﷺ.

وَلِزِيَادَةِ الْإِيضَاحِ وَالْبَيَانِ، نُورِدُ لَكُمْ بَعْضَ أَدْعِيَةِ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- :

أَدْعِيَةُ الرُّسُلِ

فَهَذَا أَبُونَا آدَمُ، لَمَّا اقْتَرَفَ الْخَطِيئَةَ قَالَ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

فَلَمْ يَتَوَسَّلْ أَبُونَا آدَمُ بِمُحَمَّدٍ كَمَا زَعَمَ الزَّاعِمُونَ، وَأَوْرَدُوهُ حَدِيثًا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ!! قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا، وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ؛ لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ؛ إِنَّهُ لَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، ادْعُنِي بِحَقِّهِ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ» رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ[1].

---

(١) حديث موضوع: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٥) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر مرفوعًا، وقد حكم عليه بالبطلان كثيرٌ من الأئمة، منهم: الذهبي في «تلخيص المستدرك»، وفي «الميزان»، وابن حجر في «اللسان»، وابن كثير في «البداية والنهاية»، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «قاعدة جليلة في=

وَقَدْ أَجَابَ أَهْلُ الْعِلْمِ: أَنَّ الْحَاكِمَ مُتَسَاهِلٌ فِي تَصْحِيحِ الْأَحَادِيثِ، حَتَّى اتَّهَمَهُ بَعْضُهُمْ بِسُوءِ الْعَقِيدَةِ!!

فَقَدْ قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى الْمُسْتَدْرَكِ فِي خُصُوصِ هَذَا الْحَدِيثِ: إِنَّهُ حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ، فَلَا حُجَّةَ فِي مَوْضُوعٍ؛ بَلْ وَلَا فِي ضَعِيفٍ [٤٥].

وَإِذْ سَمِعْتُمْ دُعَاءَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْمَعُوا دُعَاءَ نُوحٍ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح: ٢٨].

وَقَالَ اللَّهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ

---

[٤٥] وَهُوَ حَدِيثٌ مَكْذُوبٌ مَوْضُوعٌ: لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ، وَمَعَ ذَلِكَ مَا أَكْثَرَ مَا نَسْمَعُهُ مِنَ الْخُطَبَاءِ وَالدُّعَاةِ وَالْوُعَّاظِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَحَافِلِ وَالْمُنَاسَبَاتِ، وَيَأْخُذُونَهُ عَلَى أَنَّهُ حَقِيقَةٌ مُسَلَّمَةٌ، كَأَنَّ الشَّمْسَ تُشْرِقُ فِي أَرْجَائِهِ، وَمَا هُوَ إِلَّا ظُلُمَاتٌ فَوْقَ ظُلُمَاتٍ.

= التوسل والوسيلة».

وراجع الكلام على الحديث بالتفصيل في «السلسلة الضعيفة للألباني» (٢٥).

يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١][1].

وَقَالَ اللَّهُ مُخْبِرًا عَنْ أَيُّوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وَعَنْ يُونُسَ، لَمَّا التَقَمَهُ الْحُوتُ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وَعَنْ زَكَرِيَّا: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

وَعَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وَأَدْعِيَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَةٌ مَبْثُوثَةٌ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ، وَفِي كُتُبِ الْأَذْكَارِ.

---

(١) دعاء إبراهيم لوالده قبل أن يتبين له أنه عَدُوٌّ لِلَّهِ؛ كما اخبر اللَّه عنه ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

وَمِنْهَا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي وَبَدَنِي..» إِلَى آخِرِ الدُّعَاءِ[1].

وَمِنْهَا: دُعَاءُ سَيِّدِ الِاسْتِغْفَارِ الْمَشْهُورُ[2].

وَمِنْهَا دُعَاءُ[3]: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَدْعُوكَ كَمَا أَمَرْتَنَا، فَاسْتَجِبْ لَنَا كَمَا وَعَدْتَنَا، اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي (٨/ ٢٨٢)، وابن ماجه (٣٨٧١)، والحاكم (١/ ٥١٦)، وابن حبان (٢٣٥٦- موارد) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٢٤٨)، وفي «صحيح سنن ابن ماجه» (٣١٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٦) من حديث شداد بن أوس مرفوعًا: **«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنتَ»**، وهو أحدُ أدعية أذكار الصباح والمساء.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، والحاكم (١/ ٥٢٨)، وصحَّحه ووافَقَه الذهبي، ورواه النسائي في «اليوم والليلة» (٤٠١)، وابن السني (٤٤٨)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وحسَّنه الألباني.

الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا[٤٦].. إلخ».

فَهَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ أَنْ يَأْتِيَ بِحَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ مِنَ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ التَّوَسُّلِ بِالصَّالِحِينَ أَوْ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فَضْلًا عَنِ الِاسْتِغَاثَةِ بِالرَّسُولِ أَوْ بِغَيْرِهِ؟

فَإِنَّ الاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَمَّا التَّوَسُّلُ فَهُوَ بِدْعَةٌ، لَا كُفْرٌ.

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ التَّوَسُّلَ يَكُونُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ(١) عَنِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ انْطَبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ، فَتَوَسَّلَ أَحَدُهُمْ بِبِرِّ وَالِدَيْهِ، وَالثَّانِي تُوسَّلَ بِتَعَفُّفِهِ عَنِ الزِّنَا بَعْدَ أَنْ جَلَسَ مِنَ الْمَرْأَةِ مَجْلِسَ الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ، وَالثَّالِثُ تَوَسَّلَ بِتَنْمِيَةِ أَجْرِ الْأَجِيرِ بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ وَتَرَكَ أُجْرَتَهُ، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ وَطَلَبَ أُجْرَتَهُ فَرَدَّهَا عَلَيْهِ

---

[٤٦] تَتِمَّتُهُ: وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَتَوَفَّنَا وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا».

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) (١٠٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فَإِذَا هِيَ مَالٌ كَثِيرٌ.

وَأَمَّا احْتِجَاجُهُمْ بِآيَةِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

فَالْجَوَابُ عَنْهُ:

أَنَّ الْوَسِيلَةَ هُنَا مَعْنَاهَا: التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، أَوْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، كَمَّا بَيَّنَا فِي التَّوَسُّلِ الْمَشْرُوعِ، لَا كَمَا يَقُولُ الْمُبْتَدِعُونَ، أَنْ نَجْعَلَ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ شُفَعَاءَ وَوُسَطَاءَ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهَا مِنَ الْوَسَائِلِ الْمَأْمُورِ بِهَا، وَيُفَسِّرُونَ الْآيَةَ بِهَا.

أَوْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ ثَابِتَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ نَسْأَلُهُ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ مَنَحَهُ إِيَّاهَا.

* * *

إِثْبَاتُ الشَّفَاعَةِ لِلرَّسُولِ ﷺ

وَأَمَّا احْتِجَاجُهُمْ بِثُبُوتِ الشَّفَاعَةِ لِنَبِيِّنَا ﷺ، فَالْجَوَابُ:

لَا رَيْبَ أَنَّ لِلرَّسُولِ ﷺ شَفَاعَاتٍ مُتَعَدِّدَةً:

أَعْظَمُهَا: الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِرَاحَةِ النَّاسِ مَنْ عَنَاءِ الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ مَخْصُوصَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَلَهُ شَفَاعَةٌ أُخْرَى فِي إِخْرَاجِ بَعْضِ مَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ، وَأُخْرَى فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ.

وَلَكِنَّ اعْتِقَادَنَا بِثُبُوتِ الشَّفَاعَةِ لَهُ؛ لَا يُسَوِّغُ لِلْمُسْلِمِ اتِّكَالًا عَلَى هَذِهِ الشَّفَاعَةِ أَنْ يَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا شَفَاعَتَهُ، أَوْ غُفْرَانَ ذُنُوبِهِ؛ كَأَنْ يَقُولَ: يَا مُحَمَّدُ اشْفَعْ لِيَ، يَا مُحَمَّدُ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، أَدْرِكْنِي، أَسْتَجِيرُ بِكَ مِمَّنْ ظَلَمَنِي، أَوْ أَسْأَلُكَ يَا مُحَمَّدُ الشَّفَاعَةَ. فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يَجُوزُ.

بَلْ يَقُولُ [٤٧]: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي شَفَاعَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ شَفِّعْ فِيَّ مُحَمَّدًا. أَوْ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي مِنَ شَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

---

[٤٧] أَيْ: مُتَوَجِّهًا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَمِنْ شَفَاعَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

فَإِذَا لَمْ يَجُزْ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَقُولَ مُخَاطِبًا الرَّسُولَ ﷺ: اشْفَعْ لِي، أَوْ أَغِثْنِي، أَوْ أَسْتَجِيرُ بِكَ؛ فَأَوْلَى أَنْ لَا يَجُوزَ لِغَيْرِهِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَلَا يُغْتَرُّ بِقَوْلِ بَعْضِ الشُّعَرَاءِ[1]:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَالِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ
سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمِمِ

فَإِنْ هَذَا الْكَلَامَ شِرْكٌ وَضَلَالٌ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِقَائِلِهِ، هَلْ مَاتَ عَلَى هَذَا أَوْ تَابَ؟

يَقُولُ: مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ، وَنَقُولُ لَهُ:

لُذْ بِالْإِلَهِ وَلَا تَلُذْ بِسِوَاهُ
مَنْ لَاذَ بِالْمَلِكِ الْجَلِيلِ كَفَاهُ

الشَّفَاعَةُ فِي اسْتِفْتَاحِ بَابِ الْجَنَّةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنَ الْأُمَمِ أُمَّتُهُ.

وَالشَّفَاعَةُ فِي أَقْوَامٍ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ أَنْ لَا يَدْخُلُوهَا.

وَالشَّفَاعَةُ فِي تَخْفِيفِ عَذَابِ بَعْضِ الْكُفَّارِ، وَهَذِهِ خَاصَّةٌ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ.

---

(١) هو البُوصِيري في بُرْدَتِهِ المشهورة.

حُجَجُ الْمُبْتَدِعَةِ فِي جَوَازِ التَّوَسُّلِ وَالِاسْتِغَاثَةِ

وَقَدْ كَثُرَ فِي كَلَامِ بَعْضِ الشُّعَرَاءِ مِنَ الِاسْتِغَاثَاتِ وَالنِّدَاءَاتِ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِغَيْرِهِ، كَمَا كَثُرَ فِي كَلَامِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ التَّوَسُّلَاتِ وَالِاسْتِغَاثَاتِ، وَتَجْوِيزِهِمْ لَهُمَا بِشُبَهٍ وَاهِيَةٍ، لَيْسَ عَلَيْهَا شُبْهَةُ الصَّوَابِ، فَضْلًا عَنِ الْحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ(١). [٤٨]

---

[٤٨] وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الشُّعَرَاءِ قَدْ غَلَوْا فِي هَذَا الْأَمْرِ غُلُوًّا أَخْرَجَهُمْ عَنِ الْجَادَّةِ الْمُسْتَقِيمَةِ إِلَى حَمْأَةٍ وَبِيلَةٍ.

---

(١) كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَحُلَّ عُقْدَةَ قَلْبِي يَا مُحَمَّدُ مِنْ
هَمٍّ عَلَى خَطَرَاتِ الْقَلْبِ مُطَّرِدِ
أَرْجُوكَ فِي سَكَرَاتِ الْمَوْتِ تَشْهَدُنِي
كَيْمَا يَهُونَ إِذِ الْأَنْفَاسُ فِي صُعُدِ

[وهذا كلامٌ سقيم مردود، وفيه خطابٌ للنبيِّ ﷺ بما لا ينبغي أن يكون، ولا يحل أن يكون بحالٍ أبدًا].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: =

١- مِثْلُ احْتِجَاجِهِمْ عَلَى التَّوَسُّلِ بِحَدِيثِ آدَمَ السَّابِقِ ذِكْرُهُ.

٢ - وَبحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ إِلَيْكَ».

٣ - وَبحَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ أُمِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -وَكَانَتْ قَدْ رَبَّتِ النَّبِيَّ ﷺ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا، وَقَالَ: «رَحِمَكِ اللَّهُ يَا أُمِّي بَعْدَ أُمِّي»- إِلَى أَنْ قَالَ لَمَّا أَدْخَلَهَا اللَّحْدَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ وَوَسِّعْ لَهَا مُدْخَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي، فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

٤ - وَمِثْلُ احْتِجَاجِهِمْ عَلَى جَوَازِ الاسْتِغَاثَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ

= يَا سَيِّدِي يَا صَفِيَّ الدِّينِ يَا سَنَدِي
يَا عُمْدَتِي بَلْ وَيَا ذُخْرِي وَمُفْتَخَرِي
أَنْتَ الْمَلَاذُ لِمَا أَخْشَى ضَرُورَتَهُ
وأَنْتَ لِي مَلْجَأٌ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ!

فانظُر إلى الغُلُوِّ الشَّنِيعِ مِنْ هَذَيْنِ الشَّاعِرَيْنِ اللَّذَيْنِ نَسِيَا أَنَّ الْمُرْتَجَى والْمَلَاذَ لِلْعَبْدِ هُوَ اللَّهُ -كَمَا في الآياتِ المارَّةِ، والقرآنُ مَمْلُوءٌ بالآيَاتِ الَّتِي تُصَرِّحُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي بِيَدِهِ النَّفْعُ وَالضُّرُ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ.

مُوسَى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

٥ - وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

٦ - وَبِمِثْلِ قَوْلِهِمْ: «لَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، فَإِذَا جَازَ التَّوَسُّلُ بِالنَّبِيِّ حَيًّا جَازَ بِهِ مَيِّتًا؛ لِأَنَّهُ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ، وَهَكَذَا سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَعْلَى مَقَامًا مِنَ الشُّهَدَاءِ، وَالشُّهَدَاءُ قَدْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

٧ - وَبِحَدِيثِ: «إِذَا أَعْيَتْكُمُ الْأُمُورُ فَعَلَيْكُمْ بِأَهْلِ الْقُبُورِ».

٨- وَحَدِيثِ: «تَوَسَّلُوا بِجَاهِي، فَإِنَّ جَاهِي عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ»!

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الِاحْتِجَاجَاتِ الْوَاهِيَةِ السَّمِجَةِ الْبَارِدَةِ، الَّتِي تَسْتَوْجِبُ الضَّحِكَ عَلَيْهِمْ وَالرِّثَاءَ لِحَالِهِمْ(١).

---

(١) وبَقِيَتْ لَهُمْ شُبْهَةٌ، وهِيَ: أَنَّهُمْ قَالُوا لِلْمُوَحِّدِينَ: إِنَّكُمْ تَعْمِدُونَ إِلَى الْآيَاتِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي الْأَصْنَامِ وَعَابِدِيهَا فَتُنْزِلُونَهَا عَلَى الْمُسْلِمِين الَّذِين يَتَوَسَّلُونَ بِالصَّالِحِين، ويَسْتَغِيثُونَ بِالْمُرْسَلِين، وَيَأْتُونَ بِكُلِّ شَرَائِعِ الدِّين، فَتَجْعَلُونَ الْمُرْسَلِينَ والصَّالِحِينَ فِي سِلْكِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، والْمُتَوَسِّلِينَ فِي سِلْكِ عَبَدَتِهَا. =

= فَالْجَوابُ:

أَوَّلًا: صَرَّحَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ.

ثَانِيًا: أنَّ الْمُشْرِكِينَ السَّالِفِينَ، وَالْكَافِرِينَ الْغَابِرِينَ، مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ كَعِيسَى وَعُزَيْرٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الصَّالِحِينَ، كَوَدٍّ وَسُوَاعَ وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرٍ، فَكَفَّرَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا، وَأَخْبَرَ عَنْ كُفْرِهِمْ، وكَلِمَةُ: ﴿دُونِ ٱللَّهِ﴾ في مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾، وكلمة: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ تشمل كُلَّ مَعْبُودٍ غَيْرَ اللَّهِ، وَلَوْ كَانَ نَبِيًّا أَوْ مَلَكًا، وَقَدْ رأَيْتُمْ أَنَّ اللَّهَ كَفَّرَ الْيَهُودَ والنَّصَارَى بِطَاعَتِهِمْ لِلْأَحْبَارِ والرُّهْبَانِ فِي تَحْرِيمِ الْحَلَالِ، وَتَحْلِيلِ الْحَرَامِ، فَضْلًا عَنِ السُّجُودِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَالنَّذْرِ لَهُ وَالطَّوَافِ بهِ. [فَهَذِهِ شُبْهَةٌ مِنْ أَعْظَمِ شُبُهَاتِهِمْ].

الرَّدُّ عَلَى حُجَجِ الْمُبْتَدِعِينَ وَتَفْنِيدُهَا

وَإِلَى الْقَارِئِ الْجَوَابُ عَنْ تِلْكَ الشُّبَهِ، فَنَقُولُ:

أَوَّلًا: لِيَعْلَمِ الْقَارِئُ أَنَّ التَّوَسُّلَ بِدْعَةٌ لَيْسَ بِكُفْرٍ، وَإِنَّمَا الْكُفْرُ هُوَ الِاسْتِغَاثَةُ بِرَسُولِ اللَّهِ أَوْ بِغَيْرِهِ، كَمَا مَرَّ غَيْرَ مَرَّةٍ.

وَثَانِيًا: لَيْسَ فِي التَّوَسُّلِ بِالْأَمْوَاتِ حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَوْ حَسَنٌ، وَكُلُّ مَا وَرَدَ إِمَّا ضَعِيفٌ وَإِمَّا مَوْضُوعٌ:

١- فَأَمَّا حَدِيثُ الِاحْتِجَاجِ بِتَوَسُّلِ آدَمَ؛ فَقَدْ سَبَقَ الْجَوَابُ عَنْه. [٤٩]

٢- وَأَمَّا حَدِيثُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ»؛ فَإِنَّهُ ضَعِيفٌ(١). قَالَ الْحَافِظُ الْهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ»: هَذَا إِسْنَادٌ

---

[٤٩] وَقَدْ مَرَّ أَنَّهُ حَدِيثٌ مَكْذُوبٌ مَوْضُوعٌ.

---

(١) حديث ضعيف: أخرجه ابن ماجه (٧٧٨)، وأحمد (٣/ ٢١)، وابن السني (٨٣)، وإسناده ضعيف، وقد ضعفه البوصيري في «الزوائد» والمنذري وغيرهما من الأئمة، وراجع «الضعيفة» برقم (٢٤)، فقد قال الألباني بعد بحثه: «ومَنْ حَسَّنه فقد وَهِمَ أو تساهَلَ».

مُسَلْسَلٌ بِالضُّعَفَاءِ: عَطِيَّةُ وَهُوَ الْعَوْفِيُّ، وَالْفُضَيْلُ بْنُ مَرْزُوقٍ، وَالْفَضْلُ ابْنُ الْمُوَفَّقِ، كُلُّهُمْ ضُعَفَاءُ.

وَعَلَى تَسْلِيمِ أَنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِي الْفُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ: فَضَعَّفَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالنَّسَائِيُّ وَأَبُو حَاتِمٍ، وَوَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ.

وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ فِيهِ: يَرْوِي عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ الْمَوْضُوعَاتِ.

وَهُوَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ؛ فَإِنَّ الْجَرْحَ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّعْدِيلِ.

عَلَى أَنَّنَا لَوْ سَلَّمْنَا بِصِحَّةِ الْحَدِيثِ؛ فَإِنَّا لَا نُسَلِّمُ أَنَّ حَقَّ السَّائِلِينَ مَخْلُوقٌ؛ إِذْ حَقُّهُمْ هُوَ إِجَابَةُ اللَّهِ وَإِعْطَاؤُهُمْ سُؤَالَهُمْ، وَهُمَا صِفَتَانِ لَهُ تَعَالَى، فَحَقُّ الْخَلْقِ قِد يَكُونُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وَالْجَوَابُ عَنْ حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ: أَنَّهُ ضَعِيفٌ أَيْضًا[1]، فَإِنَّ فِيهِ رَوْحَ بْنَ صَلَاحٍ الْمِصْرِيَّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَعَلَى فَرْضِ تَسْلِيمِ صِحَّتِهِ، فَحَقُّ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَمَا قَدَّمْنَا فِي حَدِيثِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ

(١) حديث ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» كما في «المجمع» (٩/ ٣٥٧)، وكذا أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٢١).

وفي إسناده ضَعْفٌ بيَّنه الألباني في «الضعيفة» برقم (٢٣) فلتراجع.

السَّائِلِينَ» ؛ بَلْ إِنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ نُصْرَتُهُ لِلْأَنْبِيَاءِ ، وَإِرْضَاؤُهُمْ وَإِعْلَاؤُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ .

٤- وَأَمَّا احْتِجَاجُهُمْ عَلَى الِاسْتِغَاثَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى : ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] .

فَمَا أَسْمَجَهُ مِنَ اسْتِدْلَالٍ وَمَا أَبْرَدَهُ!! لِأَنَّهَا اسْتِغَاثَةُ حَيٍّ بِحَيٍّ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ فِي هَذَا خِلَافٌ .

عَلَى أَنَّ فِعْلَ الرَّجُلِ الْإِسْرَائِيلِيِّ لَيْسَ بِحُجَّةٍ ، وَإِجَابَةُ مُوسَى لَهُ وَتَقْرِيرُهُ عَلَيْهِ لَيْسَ بِحُجَّةٍ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ .

وَسُكُوتُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ بَعْثَتِهِمْ لَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الْمَسْكُوتِ عَنْهُ . وَبَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ لَيْسَ هُوَ فِي شَرِيعَتِنَا .

٥ - وَأَمَّا احْتِجَاجُهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾ . . . الْآيَةَ [النساء: ٦٤] .

فَالْجَوَابُ : أَنَّ غَايَتَهَا تَعْلِيقُ غُفْرَانِ ذُنُوبِهِمْ عَلَى مَجِيئِهِمْ إِلَيْهِ ﷺ وَاسْتِغْفَارِهِمُ اللَّهَ ، وَاسْتِغْفَارِ الرَّسُولِ لَهُمْ ، وَأَنَّهُمْ لِيمُوا عَلَى تَرْكِ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ فِيهَا أَنَّهُمْ طَلَبُوهُ وَلَا أُمِرُوا أَنْ يَطْلُبُوهُ .

وَثَانِيًا : أَنَّ الْآيَةَ مُعَلَّقَةٌ ذَلِكَ عَلَى إِتْيَانِهِ ﷺ ، وَإِتْيَانُهُ غَيْرُ مُتَأَتٍّ بَعْدَ مَوْتِهِ! إِذْ لَا يُمْكِنُ إِلَّا إِتْيَانُ قَبْرِهِ ، وَمَنْ أَتَى الْقَبْرَ لَا يُقَالُ إِنَّهُ أَتَى صَاحِبَ

الْقَبْرِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّسَامُحِ وَالتَّجَوُّزِ.

ثَالِثًا: هِيَ وَاقِعَةٌ مُعَيَّنَةٌ[٥٠] لَا تُفِيدُ الْعُمُومَ بِمَعْنَاهَا وَلَا لَفْظِهَا، وَقَعَتْ فِي حَيَاتِهِ ﷺ، فَمِنْ أَيْنَ أَخَذُوا التَّعْمِيمَ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ؟

وَلَوْ دَلَّتْ عَلَى الْعُمُومِ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ لَكَانَتْ مُخَصَّصَةً وَمَقْصُورَةً عَلَى الْحَيَاةِ، وَدَلِيلُ التَّخْصِيصِ: الْأَخْبَارُ الشَّرْعِيَّةُ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الْأَمْوَاتَ لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يُجِيبُونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١): «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ**» [٥١].

---

[٥٠] أَيْ: وَاقِعَةُ عَيْنٍ.

[٥١] وَيَجُوزُ أَنْ تَأْتِيَ بِهَا مَرْفُوعَةً عَلَى سَبِيلِ الِابْتِدَاءِ «إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ».

وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ عَلَى أَنَّ الْمَذْكُورَ يُعْرَبُ خَبَرًا، وَأَمَّا الْمُبْتَدَأُ فَمَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: «هِيَ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، أَوْ

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) (١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَلِأَنَّ الصَّحَابَةَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مَا فَهِمُوا شُمُولَهَا لِلْمَوْتِ، وَلِذَا لَمْ يَأْتِ إِلَيْنَا أَنَّهُمْ دَعَوْهُ ﷺ بَعْدَ الْمَوْتِ، كَمَا قَدْ أَتَى إِلَيْنَا أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ الدُّعَاءَ فِي حَيَاتِهِ ﷺ [٥٢].

عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ».

[٥٢] وَكَانَتْ تُصِيبُهُمُ الشِّدَّةُ وَالْقَحْطُ وَيُمْسِكُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- غَيْثَ السَّمَاءِ، كَمَا مَرَّ فِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ الَّذِي كَانَ فِيهِ تَقْدِيمُ عُمَرَ رضي الله عنه لِلْعَبَّاسِ رضي الله عنه لِكَيْ يَدْعُوَ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَهُمْ مُسْتَسْقِيًا.

وَلَوْ كَانَ دُعَاءُ النَّبِيِّ ﷺ جَائِزًا لَمَا عَدَلُوا عَنِ الْفَاضِلِ إِلَى الْمَفْضُولِ، وَمَا تَرَكُوا الرَّسُولَ ﷺ وَذَهَبُوا إِلَى الْعَبَّاسِ، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدِ انْتَقَلَ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَسْأَلُوهُ بِحَالٍ أَبَدًا، وَلَا أَنْ يَسْتَغِيثُوا بِهِ، وَلِذَلِكَ جَنَحَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم إِلَى تَقْدِيمِ الْعَبَّاسِ رضي الله عنه لِيَسْتَسْقِيَ لَهُمْ.

حَدِيثُ الْقَلِيبِ

تَعَلَّقَ الْقُبُورِيُّونَ الْمُبْتَدِعُونَ بِحَدِيثِ الْقَلِيبِ: أَنَّ الْمَوْتَى يَسْمَعُونَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَجابَ عُمَرَ: «**مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ**»(١)، وَبِحَدِيثِ: «**وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ الْآنَ قَرْعَ نِعَالِهِمْ**» إِذْ أَتَاهُ الْمَلَكَانِ(٢).

فَاحْتَجُّوا عَلَى سَمَاعِ الْأَمْوَاتِ بِهَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ، وَإِذَا كَانُوا يَسْمَعُونَ: فَيُجِيبُونَ الدَّاعِينَ لَهُم! وَالْمُسْتَغِيثِينَ بِهِمْ، فَيَقْضُونَ حَوَائِجَهُمْ، وَيَنَالُ الْمُسْتَغِيثُ بُغْيَتَهُ وَالطَّالِبُ مِنْهُمْ ضَالَّتَهُ وَقَصْدَهُ، كَمَا اسْتَدَلُّوا بِذَيْنِكَ الحَدِيثَيْنِ عَلَى نَدْبِ قِرَاءَةِ الْأَحْيَاءِ عَلَى قُبُورِ الْمَوْتَى.

وَالْجَوَابُ: أَنَّ حَدِيثَ الْقَلِيبِ وَقَعَ مُعْجِزَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخَوَارِقُ الْعَادَاتِ لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا، فَكَيْفَ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٠) من حديث عمر رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٢٨٧٣-٢٨٧٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠) (٧٠)، من رواية أنسٍ رضي الله عنه.

وَيقُولُ: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ [الروم: ٥٢].

وَأَمَّا الْحَدِيثُ الثَّانِي «**وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ الْآنَ قَرْعَ نِعَالِهِمْ إِذْ أَتَاهُ الْمَلَكَانِ**»؛ فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ مُقَيَّدٌ بِتِلْكَ السَّاعَةِ الَّتِي سَيأْتِيهِ الْمَلَكَانِ فِيهَا، وَلَيْسَ سَمَاعُهُ هُوَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَإِذَا أَرَدْتَ هَذَا الْبَحْثَ مَبْسُوطًا لِتَرْوِيَ غَلِيلَكَ وَتَشْفِيَ عَلِيلَكَ فَارْجِعْ إِلَى رِسَالَةِ: «الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ فِي عَدَمِ سَمَاعِ الْأَمْوَاتِ» لِلْأَلُوسِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

٦- وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: لَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ فِي جَوَازِ التَّوَسُّلِ وَالِاسْتِغَاثَةِ، وَمَا ثَبَتَ لِأَحَدِ الْمِثْلَيْنِ ثَبَتَ لِلْآخَرِ، وَقَدْ ثَبَتَتْ حَيَاةُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْقُبُورِ؛ لِأَنَّهُمْ أَعْلَى مَقَامًا مِنَ الشُّهَدَاءِ؛ فَجَازَتِ الِاسْتِغَاثَةُ وَالتَّوَسُّلُ بِهِمْ وَبِالشُّهَدَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ.

فَالْجَوَابُ عَنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ: أَنَّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ مُصَادِمَةٌ لِلْقُرْآنِ مُصَادَمَةً صَرِيحَةً؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ يَقُولُ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

وَيقُولُ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ [الروم: ٥٢].

فَسُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي أَعْمَى بَصَائِرَ هَؤُلَاءِ الْقُبُورِيِّينَ الدَّجَاجِلَةِ الْمُضِلِّينَ حَتَّى سَوَّوْا بَيْنَ الْأَحْيَاءِ وَالْمَيِّتِينَ!

بَلْ قَالُوا: إِنَّ الْأَرْوَاحَ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْأَجْسَامِ بَاقِيَةٌ وَتَتَصَرَّفُ التَّصَرُّفَ التَّامَّ!

فَعَلَى عُقُولِهِمُ الْعَفَاءَ وَالدَّمَارَ، فَمَا أَجْهَلَ هَؤُلَاءِ وَمَا أَكْفَرَهُمْ! فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً -كَمَا زَعَمَ هَؤُلَاءِ- لَمَا جَازَ دَفْنُهُمْ وَتَقْسِيمُ أَمْوَالِهِمْ وَتَزَوُّجُ نِسَائِهِمْ- بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِ الرَّسُولِ ﷺ.

وَإِنَّا نَرَى الْمَيِّتَ يُهَانُ وَيُوطَأُ، وَهُوَ لَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ، أَتُرَاهُ رَضِيَ لَهَا الْهَوَانَ؟! وَلَا أَظُنُّ أَنْ سَمِعَ النَّاسُ أَبْطَلَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، وَأَفْسَدَ مِنْ هَذَا الْقِيَاسِ.

وَقَوْلُهُمْ: إِنَّ الْأَرْوَاحَ تَتَصَرَّفُ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْأَجْسَامِ لِأَنَّهَا حَيَّةٌ. فَكَلَامٌ بَاطِلٌ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْيِ.

وَأَيُّ تَصَرُّفٍ لَهَا؟ وَهَلْ يَلْزَمُ مِنْ حَيَاتِهَا أَنْ تَكُونَ قَادِرَةً مُجِيبَةً لِلْمُسْتَغِيثِينَ وَالسَّائِلِينَ؟

وَلَوْ جَازَ لَنَا أَنْ نَسْتَغِيثَ بِهَؤُلَاءِ لِأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ، جَازَ لَنَا أَنْ نَسْتَغِيثَ بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ لَا خِلَافَ فِي حَيَاتِهِمْ، وَبِالْحُورِ وَالْوِلْدَانِ؛ لِأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ. سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ! لَا يَقُولُ هَذَا إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ، وَتَجَرَّدَ مِنْ عَقْلِهِ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا وَاهْدِهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْحَقِّ وَالطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ.

٧ - وَأَمَّا حَدِيثُ: «إِذَا أَعْيَتْكُمُ الْأُمُورُ..» فَإِنَّهُ مَكْذُوبٌ، وَمِنْ

وَضْعِ الزَّنَادِقَةِ الَّذِينَ قَصَدُوا إِفْسَادَ الدِّينِ.

٨- وَحَدِيثُ: «تَوَسَّلُوا بِجَاهِي» مَوْضُوعٌ(١)، لَمْ يَخْتَلِفْ فِي وَضْعِهِ اثْنَانِ.

وَلَا رَيْبَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ، أَنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَاهًا عَظِيمًا وَمَقَامًا مَحْمُودًا، وَأَنَّهُ أَفْضَلُ الْوَرَى وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

وَلَكِنَّ هَذَا لَا يُسَوِّغُ لَنَا التَّوَسُّلَ وَالاسْتِغَاثَةَ بِهِ؛ وَإِنْ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءً فِي قُبُورِهِمْ حَيَاةً بَرْزَخِيَّةً لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ؛ لِأَنَّ الْحَيَاةَ الْبَرْزَخِيَّةَ لَا تُقَاسُ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا تُعْطَى أَحْكَامَهَا(٢)، فَإِذَا جَازَ أَنْ نَسْأَلَهُ ﷺ فِي حَيَاتِهِ الدُّعَاءَ، بِأَنْ يَطْلُبَ لَنَا مِنَ اللَّهِ قَضَاءَ حَاجَةٍ أَوْ غُفْرَانَ ذَنْبٍ، فَلَا يَجُوزُ بَعْدَ مَمَاتِهِ أَنْ نَسْأَلَهُ قِيَاسًا عَلَى حَيَاتِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

---

(١) حديث لا أصلَ له: كما نص على ذلك شيخ الإسلام في كتابه العظيم «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، ووافقه على ذلك الألباني في «السلسلة الضعيفة» برقم (٢٢).

(٢) وحَيْثُ إِنَّ كَثِيرًا مِنْ ذَوِي الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ وَالدُّعَاةَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَمْوَاتِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ يُشَاغِبُونَ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ حَيَاتَهُمْ كَالْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَنكِحُونَ كَسَائِرِ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ جَوَّزُوا الِاسْتِغَاثَةَ بِهِمْ فِي الشَّدَائِدِ وَالْمُلِمَّات؛ بَلْ وَنَدَبُوا إِلَى ذَلِكَ وَضَلَّلُوا مَنْ يَنْهَى عَنِ الِاسْتِغَاثَةِ بِالْأَمْوَاتِ=

= وَيَجْعَلُهَا شِرْكًا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّهَا حَيَاةٌ بَرْزَخِيَّةٌ غَيْبِيَّةٌ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهَا إِلَّا اللَّهُ.

فَلِذَا يَجْدُرُ بِي أَنْ أَذْكُرَ بَعْضَ كَلَامِ الْمُفَسِّرِينَ الأَجِلَّاءِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، وَنَكْتَفِي بِأَرْبَعَةٍ مِنْ كِبَارِهِمْ لِيَتَبَيَّنَ صِحَّةُ قَوْلِنَا وبُطلانُ قَوْلِهِمْ، وَإِلَى القَارِئِ بَيَانَ ذَلِكَ:

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ تَحْتَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]:

يَعْنِي: الَّذِينَ قُتِلُوا بِأُحُدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، يَقُولُ اللَّهُ: وَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ يَا مُحَمَّدُ أَمْوَاتًا لَا يُحِسُّونَ شَيْئًا، وَلَا يَتَلَذَّذُونَ وَلَا يَتَنَعَّمُونَ، فَإِنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدِي مُتَنَعِّمُونَ فِي رِزْقِي، فَرِحُونَ مَسْرُورُونَ بِمَا آتَيْتُهُمْ مِنْ كَرَامَتِي وَفَضْلِي، وَحَبَوْتُهُمْ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِي وَعَطَائِي..، ثُم ساقَ أحاديثَ وآثارًا نَحْوًا من عشرين حديثًا وأثرًا، منها: عَنْ مَسْرُوقٍ ابْنِ الأَجْدَعِ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية، قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْهَا، فَقِيلَ لَنَا: «إِنَّهُ لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَيَطَّلِعُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ اطِّلَاعَةً، فَيَقُولُ: يَا عِبَادِي مَا تَشْتَهُونَ فَأَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لَا فَوْقَ مَا أَعْطَيْتَنَا! الْجَنَّةَ نَأْكُلُ مِنْهَا حَيْثُ=

= شِئْنَا ! -ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- ، فَيَطَّلِعُ اللَّهُ إِلَيْهِمُ اطِّلَاعَةً ، فَيَقُولُ : يَا عِبَادِي مَا تَشْتَهُونَ فَأَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا لَا فَوْقَ مَا أَعْطَيْتَنَا ! الْجَنَّةَ نَأْكُلُ مِنْهَا حَيْثُ شِئْنَا ! إِلَّا أَنَّا نُحِبُّ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا ، ثُمَّ تَرُدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا فَنُقَاتِلَ فِيكَ حَتَّى نُقْتَلَ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَى» [رواه مسلم في صحيحه] [تفسير ابن جرير - طبعة دار المعارف] .

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ :

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُمْ وَإِنْ قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ فَأَرْوَاحُهُمْ حَيَّةٌ مَرْزُوقَةٌ فِي دَارِ الْقَرَارِ .

ثُمَّ أَوْرَدَ ابْنُ كَثِيرٍ كَثِيرًا مِمَّا أَوْرَدَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَمِنْهَا : مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ . .» الحديث .

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]- ذَكَرَ سَبَبَ النُّزُولِ أَنَّهَا فِي شُهَدَاءِ أُحُدٍ ، ثُمَّ قَالَ : «أَيْ : لَا تَقُولُوا هُمْ أَمْوَاتٌ ، لَا تَصِلُ أَرْوَاحُهُمْ إِلَى الْجِنَانِ ، وَلَا تَنَالُ مِنْ تُحَفِ اللَّهِ مَا لَا يَنَالُهُ الْأَحْيَاءُ ، بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ أَرْوَاحُهُمْ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي=

= الْجَنَّةِ، فَهُمْ أَحْيَاءٌ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ وَإِنْ كَانُوا أَمْوَاتًا مِنْ جِهَةِ خُرُوجِ الرُّوحِ». اهـ.

وَلَمَّا اسْتَشْعَرَ اعْتِرَاضًا بِأَنَّ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ مُنَعَّمُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ فَلِمَ خَصَصْتُمُ الشُّهَدَاءَ؟ أَجَابَ: «إِنَّ الشُّهَدَاءَ فُضِّلُوا عَلَى غَيْرِهِمْ بِأَنَّهُمْ مَرْزُوقُونَ مِنْ مَطَاعِمِ الْجَنَّةِ وَمَأْكَلِهَا، وَغَيْرُهُمْ مُنَعَّمٌ بِمَا دُونَ ذَلِكَ» اهـ [من زاد المسير جـ١ سورة البقرة، ص: ١٦١ طبعة المكتب الإسلامي].

وَقَالَ الْعَلَّامَةُ الْقَاسِمِيُّ فِي «تَفْسِيرِه» نَقْلًا عَنِ الْبَيْضَاوِي وَحَوَاشِيهِ:

«إِنَّ إِثْبَاتَ الْحَيَاةِ لِلشُّهَدَاءِ فِي زَمَانِ بُطْلَانِ الْجَسَدِ وَفَسَادِ الْبِنْيَةِ وَنَفْيِ الشُّعُورِ بِهَا، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ حَيَاتَهُمْ لَيْسَتْ بِالْجَسَدِ وَلَا مِنْ جِنْسِ حَيَاةِ الْحَيَوَانِ؛ لِأَنَّهَا بِصِحَّةِ الْبِنْيَةِ وَاعْتِدَالِ الْمِزَاجِ، وَإِنَّمَا هِيَ أَمْرٌ يُدْرَكُ بِالْوَحْيِ لَا بِالْعَقْلِ» اهـ. [من محاسن التأويل ج٢- طبعة دار إحياء الكتب العربية].

تَأَمَّلْ كَلَامَ ابْنِ جَرِيرٍ، وَقَوْلَهُ: «إِنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدِي مُتَنَعِّمُونَ فِي رِزْقِي».

وَكَلَامَ ابْنِ الْجَوْزِيِّ: «فَهُمْ أَحْيَاءٌ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ -أي: مِنْ نَاحِيَةِ أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ- وَإِنْ كَانُوا أَمْوَاتًا مِنْ جِهَة خُرُوجِ الرُّوحِ». =

= وَكَلَامَ ابْنِ كَثِيرٍ إِذْ يَقُول: «إِنَّهُمْ وَإِنْ قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ فَأَرْوَاحُهُمْ حَيَّةٌ مَرْزُوقَةٌ فِي دَارِ الْقَرَارِ».

وَكَلَامَ الْبَيْضَاوِيِّ: «إِنَّ حَيَاتَهُمْ لَيْسَتْ بِالْجَسَدِ وَلَا مِنْ جِنْسِ حَيَاةِ الْحَيَوَانِ».

فَإِذَا أَحَطْتَ عِلْمًا بِذَلِكَ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ التَّخْرِيفِ -إِنَّ حَيَاتَهُمْ مِنْ جِنْسِ حَيَاتِنَا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَنْكِحُونَ- اعْتِقَادٌ فَاسِدٌ يَأْبَاهُ كُلُّ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ فَضْلًا عَمَّنْ تَحَلَّى بِالْعِلْمِ وَالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وَفِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] كَافٍ فِي بُطْلَانِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُبْتَدِعَةُ فِي إِثْبَاتِ الْحَيَاةِ لَهُمْ كَالْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

عَلَى أَنَّهُ فَسَّرَ بَعْضُهُمْ تِلْكَ الْحَيَاةَ بِحَيَاةِ الذِّكْرِ الْجَمِيلِ وَالثَّنَاءِ الْجَلِيلِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ: الضَّلَالُ وَالْهُدَى؛ أَيْ: لَا تَقُولُوا هُمْ أَمْوَاتٌ فِي الدُّنْيَا ضَالُّونَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ بِالطَّاعَةِ قَائِمُونَ بِأَعْبَائِهَا، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِك.

[وَلَوْ ذَهَبْنَا نَنْقُلُ كَلَامَ الْمُفَسِّرِينَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ لَصَارَ يَتَطَلَّبُ مُجَلَّدًا ضَخْمًا، وَنَحْنُ قَصَدْنَا الْإِيجَازَ، وَفِيمَا نَقَلْنَاهُ كِفَايَةٌ، وَيَتَبَيَّنُ بِهِ أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَهْلُ الضَّلَالِ هُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ].

وَلَكِنْ خَيْرُ تَفْسِيرٍ لِحَيَاتِهِمْ مَا فَسَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا سَبَقَ فِي=

وَأَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي تُنَادِي بِأَنْ لَيْسَ لِغَيْرِ اللَّهِ أَمْرٌ أَوْ تَصَرُّفٌ، أَوْ قُدْرَةٌ فِي دَفْعِ ضُرٍّ، أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ، سَوَاءٌ أَكَانَ نَبِيًّا أَمْ غَيْرَهُ،

= الْحَدِيثَيْنِ السَّابِقَيْنِ، وَكَمَا سَبَقَ مِنْ كَلَامِ الْمُفَسِّرِينَ.

وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ حَيَاةَ الشُّهَدَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ مِنْ بَابِ أَوْلَى حَيَاةٌ غَيْبِيَّةٌ بَرْزَخِيَّةٌ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهَا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَلِكُلِّ دَارٍ حُكْمٌ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا فَلَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَحْكَامَ الدُّنْيَوِيَّةَ.

قَالَ الشَّيْخُ أحمد بنُ مُحمَّدِ بن عِوَضٍ الْعَبَّادِيُّ الْيَمَنِيُّ فِي مَنْظُومَتِهِ «هِدَايَة الْمُرِيدِ»:

وَالشُّهَدَاءُ وَأَنْبِيَاءُ اللَّهِ ... فَإِنَّهُمْ أَحْيَاءُ عِنْدَ اللَّهِ

وَمَا لَهُمْ حُكْمُ الْحَيَاةِ عِنْدَنَا ... لِكَوْنِهِمْ قَدْ فَارَقُوا دَارَ الْفَنَا

وَمَنْ يَقُلْ حَيَاتُهُمْ لَا تَنْقَطِعْ ... فَذَاكَ كَذَّابٌ مَرِيدٌ مُبْتَدِعْ

قَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ وَالرَّسُولَا ... وَخَالَفَ الْمَعْقُولَ وَالْمَنْقُولَا

يُشِيرُ إِلَى الآية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١]. وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

كَقَوْلِهِ تعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢١-٢٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي فِيهَا الْخِطَابُ لِلرَّسُولِ ﷺ مُبيِّنًا أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ النَّفْعُ وَالضُّرُّ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا غَيْرُ، وَأَنَّ الْمَعْبُودَاتِ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا تُغْنِيَ شَيْئًا، وَأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ مَعَ أَنَّهُ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَإِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ [٥٣].

---

[٥٣] وَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ اعْتَقَدَ الِاعْتِقَادَ الصَّحِيحَ، وَصَارَ قَلْبُهُ مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ النَّفْعَ وَالضُّرَّ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ -تبَارَكَ وَتَعَالَى- وَحْدَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ -تبَارَكَ وَتَعَالَى- وَحْدَهُ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ وَيُصَرِّفُهَا، لَاسْتَقَامَتْ أُمُورُ الْحَيَاةِ فِي مَسَارِهَا الصَّحِيحِ، الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَسِيرَ فِيهِ، وَلَعَادَ الْمَرْءُ عَابِدًا لِلَّهِ

-رَبِّ الْعَالَمِينَ- وَحْدَهُ، وَلَعُتِقَ مِنْ أَوْهَاقِ الْعُبُودِيَّةِ وَقُيُودِهَا لِغَيْرِ اللَّهِ -رَبِّ الْعَالَمِينَ-.

وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَقِيمَ حَيَاةُ الْإِنْسَانِ حَتَّى يَتَحَرَّرَ قَلْبُهُ مِنْ قُيُودِ الْعُبُودِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَتَّى يَكُونَ التَّوَكُّلُ وَالرَّجَاءُ، وَالْإِنَابَةُ وَالْخَشْيَةُ وَالدُّعَاءُ، وَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ، وَمَا أَشْبَهَ مِنْ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ -رَبَّ الْعَالَمِينَ- إِنَّمَا خَلَقَنَا لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْغَايَةِ، وَلِلْإِتْيَانِ بِهَذِهِ الْمُهِمَّةِ؛ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ انْقَسَمَتْ نَفْسُ الْإِنْسَانِ عَلَيْهِ، وَتَوَزَّعَتْ بِدَدًا، وَتَشَطَّرَتْ نَفْسُهُ أَجْزَاءً، وَحِينَئِذٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصِحَّ لَهُ اتِّجَاهٌ فِي الْحَيَاةِ، وَلِذَلِكَ لَمَّا رَبَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ عَلَى التَّوْحِيدِ الْحَقِّ، وَظَلَّ النَّبِيُّ ﷺ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْحَجُّ، وَقَبْلَ أَنْ يُؤْذَنَ بِالْقِتَالِ، وَقَبْلَ جَمِيعِ الشَّرَائِعِ؛ ظَلَّ النَّبِيُّ ﷺ سَنَوَاتٍ يُرَبِّي أَصْحَابَهُ فِي مَكَّةَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ حَقِيقَةُ الدِّينِ.

وَالَّذِينَ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ لَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِمْ، مَعَ أَنَّ هَؤُلَاءِ مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَلَقِيَ رَبَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قَبْلَ أَنْ يَشْرَعَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مَا شَرَعَ بَعْدُ مِنْ تِلْكَ الشَّرَائِعِ الطَّاهِرَةِ الْمُطَهَّرَةِ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَمَلُوا بَعْدَ ذَلِكَ رِسَالَةَ الْإِسْلَامِ إِلَى الْعَالَمِ، وَبَلَّغُوهَا

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]:

«يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ.

فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»[١] [٥٤].

لِلدُّنْيَا كُلِّهَا وَأَعْلَوْا مَنَارَهَا، وَرَفَعُوا رَايَتَهَا، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنَ الْمَمَالِكِ قَطُّ أَنْ يَقِفَ أَمَامَهُمْ، وَلَا أَنْ يُوقِفَ زَحْفَهُمْ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ كَثْرَةِ عَدَدٍ وَلَا عُدَدٍ، وَإِنَّمَا بِهَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ وَبِحَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ مَا أَرْسَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ.

[٥٤] هَذِهِ الرِّوَايَةُ رِوَايَةُ التِّرْمِذِيِّ، وَهِيَ صَحِيحَةٌ ثَابِتَةٌ، وَأَمَّا الَّتِي فِي الصَّحِيحَيْنِ فَهِيَ الرِّوَايَةُ التَّالِيَةُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦) (٣٥١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، فَإِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» [٥٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] [٥٦]؛ أَيْ: نَخُصُّكَ بِالْعِبَادَةِ وَلَا نَعْبُدُ سِوَاكَ، وَنَسْتَعِينُ بِكَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَلَا نَسْتَعِينُ بِأَحَدٍ غَيْرِكَ.

---

[٥٥] فَدَلَّنَا الرَّسُولُ ﷺ -كَمَا دَلَّنَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ- عَلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْخَالِدَةِ، وَهِيَ تُوجِبُ الْمَسْئُولِيَّةَ الْفَرْدِيَّةَ فِي عُنُقِ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَأَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- سَيَسْأَلُ كُلَّ إِنْسَانٍ عَمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ، وَعَنْ حَقِيقَةِ مَا عَمِلَ، وَعَمَّا أَسَرَّ وَأَعْلَنَ، وَعَمَّا أَتَى وَوَدَعَ، وَاللَّهُ -رَبُّ الْعَالَمِينَ- مُحَاسِبُهُ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَسَيُبْلِي اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- السَّرَائِرَ، وَيَنْشُرُهَا أَمَامَ الْإِنْسَانِ حَتَّى يَرَى كُلَّ مَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ.

[٥٦] تَقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ يَدُلُّ عَلَى الْحَصْرِ وَالْقَصْرِ وَالتَّخْصِيصِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: لَا نَعْبُدُ إِلَّا أَنْتَ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: لَا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِكَ.

وَحَدِيثُ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**»(١).

لَوْ تَدَبَّرَ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعُونَ تِلْكَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ، وَرَاجَعُوا تَفَاسِيرَ الْأَئِمَّةِ الْمُحَقِّقِينَ لِتِلْكَ الْآيَاتِ، وَشُرُوحَ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ؛ لَعَلِمُوا أَنَّ تَوَسُّلَاتِهِمْ بِالرَّسُولِ، أَوْ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي الدِّينِ، وَأَنْ الاسْتِغَاثَةَ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ الْمُبِينُ [٥٧].

---

[٥٧] أَنْهَى الشَّيْخُ بِذَلِكَ -وَقَدْ أَطَالَ النَّفَسَ فِيهِ جِدًّا- الْكَلَامَ عَنْ تَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ؛ عَنْ تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ الْخُصُومَةُ، وَضَلَّ فِيهِ مَنْ ضَلَّ، وَزَلَّ عَنْهُ مَنْ زَلَّ؛ لِذَلِكَ أَطَالَ فِيهِ النَّفَسَ، وَأَتَى بِكَثِيرٍ مِنْ شُبُهَاتِ الْأَقْوَامِ وَرَدَّهَا وَدَحَضَهَا بِالْأَدِلَّةِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ بَلْ وَبِمَا يَقْضِي بِهِ صَرِيحُ الْعَقْلِ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ قَاضٍ بِأَنَّ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَعَ نَفْسَهُ وَلَا أَنْ يَضُرَّهَا؛ هُوَ أَعْجَزُ عَنْ أَنْ يَنْفَعَ غَيْرَهُ أَوْ يَضُرَّهُ.

---

(١) رواه الترمذي من حديث ابن عباس، الذي أوله: قال: كُنتُ خَلْفَ النَّبِيِّ يومًا فقال: «يا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ...» إلخ. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. [وأخرجه أيضًا الإمام أحمد وغيره، وهو حديث صحيح]، وقَدْ سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

فَإِذَا كَانَ الْأَمْوَاتُ يُوقَفُونَ وَيُهَانُونَ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَدْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ مَهَانَةً وَلَا ذُلًّا وَلَا ضَرًّا؛ فَكَيْفَ يَدْفَعُونَ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَفاقِدُ الشَّيْءِ لَا يُعْطِيهِ.

* * *

٣ - تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وَهُوَ أَنْ يَعْتَقِدَ الْعَبْدُ اعْتِقَادًا جَازِمًا أَنَّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، مِنْ أَوْصَافِهِ الْعُلْيَا وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَكَذَا مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، هِيَ حَقٌّ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ. فَمِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ:

صِفَةُ الْحَيَاةِ لَهُ جَلَّ جَلَالُهُ، كَمَا قَالَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، وآل عمران: ٢] [٥٨].

وَصِفَةُ الْعِلْمِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا

---

[٥٨] وَصِفَةُ الْحَيَاةِ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَبِصَرِيحِ الْعَقْلِ وَبِالْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي لَمْ يُصِبْهَا زَيْغٌ وَلَا غَبَشٌ.

الْحَيُّ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مُتَضَمِّنٌ لِصِفَةِ الْحَيَاةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِيمَانُنَا بِذَلِكَ: أَنْ نُثْبِتَ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الِاسْمَ، وَأَنْ نُؤْمِنَ بِمَا تَضَمَّنَهُ الِاسْمُ مِنْ صِفَةٍ، وَهَذَا لَازِمٌ لَا يَتَعَدَّى، فَنُثْبِتُ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- صِفَةَ الْحَيَاةِ، وَنُثْبِتُ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هَذَا الِاسْمَ الشَّرِيفَ، وَهُوَ الْحَيُّ.

بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤][٥٩].

وَصِفَةُ الْإِرَادَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ

---

[٥٩] صِفَةُ الْعِلْمِ لِلَّهِ - تَبارَكَ وَتَعالَى- ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَبِمُقْتَضَى الْفِطْرَةِ الصَّحِيحَةِ وَالْعَقْلِ الصَّرِيحِ.

صِفَةُ الْعِلْمِ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- لَيْسَتْ كَصِفَةِ الْعِلْمِ لِلْمَخْلُوقِينَ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عِلْمًا؛ فَإِنَّ عِلْمَ الْمَخْلُوقِ مَسْبُوقٌ بِجَهْلٍ مَلْحُوقٌ بِنِسْيَانٍ، وَيَعْتَورُهُ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ- فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ مَا بَيْنَ الْجَهْلِ وَالنِّسْيَانِ مَا يَعْتَرِي عِلْمَ كُلِّ عَلِيمٍ، وَأَمَّا عِلْمُ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فَإِنَّهُ لَيْسَ مَسْبُوقًا بِجَهْلٍ وَلَا مَلْحُوقًا بِنِسْيَانٍ -حَاشَاهُ-، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا سَيَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ.

عِلْمُ الْحَيِّ مَهْمَا بَلَغَ يَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِ اللَّحْظَةِ زَمَانًا، وَعِنْدَ حُدُودِ الْحَيِّزِ الْمَكَانِيِّ مَكَانًا، وَأَمَّا اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فَعِلْمُهُ شَامِلٌ كَامِلٌ مُحِيطٌ، يَسْتَوِي فِيهِ مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا سَيَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ.

كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وَالْقُدْرَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: ٢١].

وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤].

وَالْكَلَامِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وَالرَّحْمَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١].

وَصِفَةُ الْحُبِّ، لِقَوْلِهِ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وَالْيَدَيْنِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وَالْوَجْهِ، لِقَوْلِهِ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ [٦٠].

---

[٦٠] فِي الأَعْرَافِ، ويُونُسَ، وَالرَّعْدِ، وَالْفُرْقَانِ، وَطَهَ، وَالسَّجْدَةِ، وَالْحَدِيدِ.

وَالنُّزُولِ، لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُنَادِي: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟»(١).

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا نَسْتَطِيعُ حَصْرَهَا فِي عِشْرِينَ صِفَةٍ، وَحَصْرُهَا فِي عِشْرِينَ أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ مُبْتَدَعَاتِ الْخَلَفِ. وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ الْإِيْمَانُ بِكُلِّ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ، إِثْبَاتًا بِلَا تَمْثِيلٍ، وَتَنْزِيهًا بِلَا تَعْطِيلٍ.

وَالْقَوْلُ الشَّامِلِ فِي هَذَا الْبَابِ: أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ، لَا يُتَجَاوَزُ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ.

فَمَذْهَبُ السَّلَفِ حَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ، بَيْنَ بَاطِلِ التَّمْثِيلِ وَبَاطِلِ التَّعْطِيلِ.

فَالْمُشَبِّهُ يَعْبُدُ صَنَمًا، وَالْمُعَطِّلُ يَعْبُدُ عَدَمًا، وَالْمُوَحِّدُ يَعْبُدُ إِلَهَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) (١٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقد أفرد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الحديث بالشرح في كتابه العظيم «شرح حديث النزول» فراجعه فإنه مُهِمٌّ.

(٢) وَرَحِمَ اللَّهُ ابْنَ الْقَيِّمِ حيثُ قَالَ: =

وَالْآيَةُ الْجَامِعَةُ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فَصَدْرُ الْآيَةِ تَنْزِيهٌ لِلَّهِ عَنْ مُمَاثَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهِيَ رَدٌّ عَلَى الْمُشَبِّهَةِ.

وَآخِرُ الْآيَةِ إِثْبَاتُ صِفَتَيِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وَهِيَ رَدٌّ عَلَى الْمُعَطِّلَةِ [٦١].

فَالسَّلَفُ الصَّالِحُ لَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِ اللَّهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ. كَمَا لَا يُمَثِّلُونَ ذَاتَهُ بِذَاتِ خَلْقِهِ، وَلَا يُعَطِّلُونَهَا[٦٢].

---

[٦١] وَهُمُ الَّذِينَ يُعَطِّلُونَ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مِنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ.

[٦٢] لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُعَطِّلَةِ لَهُمْ شُبْهَةٌ دَاحِضَةٌ؛ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّكُمْ إِنْ أَثْبَتُّمْ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مِنَ الصِّفَاتِ؛ فَقَدْ شَبَّهْتُمُ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِخَلْقِهِ؛

= مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ الْعَظِيمَ بِخَلْقِهِ
فَهْوَ النَّسِيبُ لِمُشْرِكٍ نَصْرَانِي
أَوْ عَطَّلَ الرَّحْمَنَ عَنْ أَوْصَافِهِ
فَهْوَ الْكَفُورُ وَلَيْسَ ذَا إِيمَانِ

حَتَّى إِنَّهُمْ لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ بِأَنَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَهُوَ ﷻ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِي شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ بِدَاخِلٍ فِيهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

قَالُوا: أَنْتُمْ إِذَا أَثْبَتُّمْ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- صِفَةَ الِاسْتِوَاءِ فَقَدْ شَبَّهْتُمُوهُ بِخَلْقِهِ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَسْتَوِي عَلَى الرَّحْلِ، وَالسَّفِينَةَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجَبَلِ!!

فَيُقَالُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَهَلِ اسْتِوَاءُ الْإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّهِ أَوْ رَحْلِهِ كَاسْتِوَاءِ السَّفِينَةِ عَلَى الْجُودِيِّ أَوْ عَلَى الْجَبَلِ؟

إِنَّ كُلَّ اسْتِوَاءٍ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى قَدْرِ الْمُسْتَوِي، فَإِذَا اسْتَوَى الْإِنْسَانُ عَلَى رَحْلِهِ؛ فَهَذَا اسْتِوَاءٌ عَلَى قَدْرِهِ، وَإِذَا اسْتَوَتِ السَّفِينَةُ -وَهِيَ جَمَادٌ- عَلَى الْجَبَلِ -وَهُوَ جَمَادٌ-؛ فَهَذَا اسْتِوَاءُ جَمَادٍ عَلَى جَمَادٍ؛ فَهَذَا اسْتِوَاءٌ عَلَى قَدْرِ السَّفِينَةِ.

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الصِّفَةَ إِنَّمَا تَكُونُ عَلَى قَدْرِ الْمَوْصُوفِ؛ فَأَنْتَ تَقُولُ: لِلنَّمْلَةِ يَدٌ، وَتَقُولُ: لِلْجَمَلِ يَدٌ، وَتَقُولُ: لِلْفِيلِ يَدٌ، وَتَقُولُ: لِلْإِنْسَانِ يَدٌ، فَهَلْ يَدٌ كَيَدٍ كَيَدٍ؟! شَتَّانَ بَيْنَ يَدِ النَّمْلَةِ وَيَدِ الْفِيلِ، وَهَذِهِ يُقَالُ لَهَا: يَدٌ، وَهَذِهِ يُقَالُ لَهَا: يَدٌ.

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَخْلُوقَاتِ؛ فَكَيْفَ بِرَبِّ الْأَرْضِ

وَالسَّمَوَاتِ؟! وَإِنَّمَا دَخَلَتِ الْآفَةُ عَلَيْهِمْ لَمَّا اسْتَعْجَمَتْ أَلْسِنَتُهُمْ فَاسْتَعْجَمَتْ فُهُومُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا هَذَا الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ صَرِيحُ اللُّغَةِ فِي أَنَّ الصِّفَةَ إِنَّمَا تَكُونُ عَلَى قَدْرِ الْمَوْصُوفِ، وَالْمُسْنَدَ يَكُونُ عَلَى قَدْرِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ؛ مَا امْتَرَوْا فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، وَلَا ضَلُّوا فِيهِ.

وَأَمَّا الصَّحَابَةُ ﷺ فَكَانُوا أَسَدَّ مَنْهَجًا، وَأَفْصَحَ لِسَانًا، وَأَنْقَى سَلِيقَةً وَسَرِيرَةً ﷺ، فَلَمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ**» لَمْ يَقُولُوا: كَيْفَ يَنْزِلُ؟ إِنَّمَا تَنْزِلُ الْأَجْسَامُ.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا قَالَهُ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْحُجَجِ السَّمِجَةِ الْبَادِرَةِ، وَإِنَّمَا عَلِمَ الصَّحَابَةُ أَنَّ النُّزُولَ هَاهُنَا مُسْنَدٌ إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؛ فَنُزُولُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ نُزُولٌ، وَيَنْتَهِي الْأَمْرُ.

وَكَذَا الشَّأْنُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالِاسْتِوَاءِ وَغَيْرِهِ مِمَّا ثَبَتَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ صِفَاتِ رَبِّنَا -جَلَّ وَعَلَا-؛ فَالَّذِي يَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ إِنْ أَثْبَتَّ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ كُنْتَ مُشَبِّهًا اللَّهَ بِخَلْقِهِ؛ فَأَجِبْهُ بِهَذَا الْقَوْلِ الَّذِي لَا يُدْفَعُ.

وَإِنْ قَالَ لَكَ: إِنَّنَا إِذَا أَثْبَتْنَا لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- اسْتِوَاءً عَلَى الْعَرْشِ؛ نَكُونُ قَدْ شَبَّهْنَاهُ بِخَلْقِهِ، ثُمَّ يَحْمِلُ عَلَيْكَ بَعْدُ بِقَوْلِهِ: وَقُلْ لِي كَيْفَ اسْتِوَاؤُهُ؟!

فَالْكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَنِ الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ، فَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ الْمُقَدَّسَةَ لَا تُشْبِهُ ذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَصِفَاتُهُ لَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

إِذَا قَالَ لَكَ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَقُلْ لَهُ: هَلْ تُثْبِتُ لِلَّهِ ذَاتًا؟ فَإِذَا قَالَ: لَا؛ فَلَا كَلَامَ مَعَهُ فَهَذَا يَعْبُدُ عَدَمًا، وَإِذَا قَالَ لَكَ: نَعَمْ أُثْبِتُ لِلَّهِ ذَاتًا؛ فَقُلْ: كَيْفَ ذَاتُهُ؟ فَسَيَقُولُ لَكَ: لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ؛ فَقُلْ: فَكَذَلِكَ صِفَاتُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهَا صِفَاتٌ.

فَاسْتِوَاؤُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ اسْتِوَاءٌ، وَنُزُولُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ نُزُولٌ، وَيَنْتَهِي الْأَمْرُ.

فَإِذَنْ؛ كَمَا أَنَّ صِفَاتِ رَبِّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إِنَّمَا تَكُونُ عَلَى قَدْرِ ذَاتِ رَبِّنَا، وَذَاتُ رَبِّنَا لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ؛ فَصِفَاتُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهَا صِفَاتٌ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ إِنَّمَا تَكُونُ عَلَى قَدْرِ الذَّاتِ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُثْبِتُونَ لِلَّهِ تَعَالَى مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْمُثْلَى مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ.

وَيَنْفُونَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، مَعَ اعْتِقَادِ ثُبُوتِ ضِدِّهِ لِلَّهِ تَعَالَى.

فَإِذَا قُلْنَا: لِلَّهِ عِلْمٌ وَلِلْمَخْلُوقِ عِلْمٌ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩، والأنعام: ١٠١، والحديد: ٣].

وَقَالَ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. [٦٣]

وَقَالَ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨].

وَقَالَ عَنْ نَبِيِّهِ يُوسُفَ: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

فَلَا شَكَّ أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ لَيْسَ كَعِلْمِ يُوسُفَ أَوْ إِسْحَاقَ عليهما السلام.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، وَقَالَ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وَقَالَ فِي حَقِّ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فَلَيْسَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ كَرَحْمَةِ الْمَخْلُوقِ، وَلَا رَأْفَتُهُ كَرَأْفَةِ الْمَخْلُوقِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ، فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾، وَقَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

[٦٣] قَالَ هَذَا فِي حَقِّ نَفْسِهِ سُبْحَانَهُ.

وَقَالَ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

وَنَحْنُ لَا نَشُكُّ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْقُرْآنِ حَقٌّ، فَلِلَّهِ سَمْعٌ وَبَصَرٌ حَقِيقِيَّانِ لائِقَانِ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ، كَمَا أَنَّ لِلْمَخْلُوقِ سَمْعًا وَبَصَرًا حَقِيقِيَّيْنِ مُنَاسِبَيْنِ لِحَالِهِ مِنْ فَقْرِهِ وَفَنَائِهِ.

وَبَيْنَ سَمْعِ وَبَصَرِ الْخَالِقِ، وَسَمْعِ وَبَصَرِ الْمَخْلُوقِ، كَمَثَلِ مَا بَيْنَ ذَاتِ الْخَالِقِ وَذَاتِ الْمَخْلُوقِ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْحَيَاةِ، فَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، وآل عمران: ٢].

وَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥].

وَوَصَفَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ بِالْحَيَاةِ، فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وَقَالَ: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٥].

فَلَيْسَتْ حَيَاةُ الْخَالِقِ كَحَيَاةِ الْمَخْلُوقِ [٦٤].

---

[٦٤] حَيَاةُ الْخَالِقِ حَيَاةٌ لَيْسَتْ مِنْ غَيْرِهِ، وَحَيَاةُ الْمَخْلُوقِ مِنَ اللَّهِ، حَيَاةُ الْخَالِقِ لَيْسَتْ مَسْبُوقَةً بِعَدَمٍ، وَلَا يَلْحَقُهَا مَوْتٌ وَلَا فَنَاءٌ، وَحَيَاةُ الْمَخْلُوقِ مَسْبُوقَةٌ بِالْعَدَمِ، وَيَلْحَقُهَا مَوْتٌ وَفَنَاءٌ.

وَقَالَ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وَقَالَ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ فَلَيْسَ اسْتِوَاؤُهُ كَاسْتِوَاءِ السَّفِينَةِ عَلَى الْجُودِيِّ، تَعَالَى اللَّهُ وَتَنَزَّهَ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّنَا لَا نَتَعَدَّى الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، وَلَا نُؤَوِّلُ صِفَاتِ اللَّهِ الْوَارِدَةَ فِي الْوَحْيَيْنِ بِتَأْوِيلاتِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ الْقَائِلِينَ: إِنَّ الْيَدَ بِمَعْنَى النِّعْمَةِ [٦٥]، . . . .

حَيَاةُ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ غَيْرُ مَسْبُوقَةٍ بِعَدَمٍ، وَلَيْسَتْ مَلْحُوقَةً بِمَوْتٍ، وَهِيَ مَا بَيْنَهُمَا عَلَى كَمَالِ الْحَيَاةِ، لَا يَعْتَوِرُهَا مِنَ الْآفَاتِ مَا يَعْتَوِرُ حَيَوَاتِ الْأَحْيَاءِ، مِنَ الْمَرَضِ، وَمِنَ الْعَجْزِ، وَمِنْ فَقْدِ الصِّحَّةِ وَالْآلَاتِ؛ تَعَالَى اللَّهُ فِي كَمَالِ غِنَاهُ عَنْ أَنْ يُشْبِهَ الْمَخْلُوقَاتِ، أَوْ أَنْ يُشْبِهَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

[٦٥] أَوْ بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ يَقُولُونَ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠] أَيْ: قُدْرَتُهُ أَوْ نِعْمَتُهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَيُقَالُ: وَلَكِنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤] أَفَلَهُ قُدْرَتَانِ؟! إِذَا كَانَتِ الْيَدُ هِيَ الْقُدْرَةُ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ﴾ فَأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ تَعَالَى يَدَيْنِ كَرِيمَتَيْنِ مَبْسُوطَتَيْنِ بِالْعَطَاءِ سَحَّاءَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، لَا تَغِيضُهُمَا نَفَقَةٌ مَا بَقِيَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ فَإِنَّهُ

وَالِاسْتِوَاءَ بِمَعْنَى الِاسْتِيلَاءِ[1]، وَالْوَجْهَ بِمَعْنَى الذَّاتِ، وَالرَّحْمَةَ بِمَعْنَى التَّفَضُّلِ، وَنُزُولَهُ بِمَعْنَى نُزُولِ أَمْرِهِ أَوْ رَحْمَتِهِ، أَوْ مَلَائِكَتِهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ التَّأْوِيلَاتِ الْفَاسِدَةِ، النَّابِعَةِ مِنْ مَنَابِعِ الْفَلْسَفَةِ وَالْهَوَى.

تِلْكَ التَّأْوِيلَاتُ الَّتِي تَؤُولُ بِالْإِنْسَانِ إِلَى الْكُفْرِ، وَتَجْعَلُ الشَّرِيعَةَ أُلْعُوبَةً بِأَيْدِي الْمُبْطِلِينَ وَالْهَدَّامِينَ، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَا يُرِيدُ مُبْطِلٌ أَنْ يَهْدِمَ

لَمْ يَنْقُصْ مِمَّا لَدَيْهِ مِنْ شَيْءٍ.

---

(١) احْتَجُّوا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ
مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ

والجَوَابُ: أَنَّ هَذَا البَيْتَ: أَوَّلًا: مَصْنُوعٌ لَا يُحْتَجُّ بِهِ.

وَثَانِيًا: إِنْ قَالُوا اسْتِيلَاءُ اللَّهِ كَاسْتِيلَاءِ بِشْرٍ عَلَى العِرَاقِ، فَهَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ بِعَيْنِهِ!، وَإِنْ قَالُوا: اسْتِيلَاءُ اللَّهِ يَخُصُّهُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ، وَاسْتِيلَاءُ بِشْرٍ كَذَلِكَ، فَهَلَّا أَبْقَوُا اللَّفْظَ الْقُرْآنِيَّ، وَقَالُوا: اسْتِوَاءٌ يَلِيقُ بِجَلَالِهِ؟! وَلَا مَفَرَّ لَهُمْ مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ.

انظر بحث الاستواء في «العلو» للذهبي، وفي «الجيوش الإسلامية» لابن القيم، وفي كتابي «العقائد السلفية» فقد أتيت في بحث الاستواء بما لا مزيد بعده، وفنَّدْتُ شُبَهَهُمْ العَقْلِيَّة والنَّقْلِيَّةِ، والحمدُ لله على ذلك.

عَقِيدَةً أَوْ حُكْمًا شَرْعِيًّا، إِلَّا وَأَتَى مِنْ بَابِ التَّأْوِيلِ، وَكَفَى بِهَذَا قُبْحًا وَضَلَالًا.

وَعَلَى اعْتِقَادِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ رَسُولُهُ، بِمَا أَتَى فِي الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، مَضَى عَصْرُ الرَّسُولِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُعْتَبَرِينَ، كَالْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَالْإِمَامِ مَالِكٍ، وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَالْبُخَارِيِّ، وَمُسْلِمٍ، وَالتِّرْمِذِيِّ، وَالنَّسَائِيِّ، وَأَبِي دَاوُدَ، وَالثَّوْرِيِّ، وَابْنِ عُيَيْنَةَ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ الْمُعْتَبَرِينَ[٦٦]، وَاللُّغَوِيِّينَ الْمُحَقِّقِينَ؛ كَالْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، وَثَعْلَبٍ، وَغَيْرِهِمَا[٦٧].

---

[٦٦] وَكَذَلِكَ حَتَّى مِنَ الصُّوفِيَّةِ الْمُحَقِّقِينَ كَالْجُنَيْدِ وَالْجِيلَانِيِّ وَأَبِي نُعَيْمٍ!!

[٦٧] فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا كُلِّهِ، وَأَنْ نُثْبِتَ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ.

نُثْبِتُ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، لَا نَذْهَبُ إِلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ غَلَا فِي الْإِثْبَاتِ حَتَّى شَبَّهَ وَمَثَّلَ، وَنُنَزِّهُ رَبَّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ لَا نُحَرِّفُ وَلَا نُؤَوِّلُ،

فَنُثْبِتُ لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ، نَفْهَمُ الْمَعْنَى وَنُثْبِتُهُ، وَأَمَّا الْكَيْفِيَّةُ فَمُفَوَّضَةٌ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَالَّذِي يُفَوَّضُ إِلَى اللَّهِ: الْكَيْفِيَّةُ لَا الْمَعْنَى.

نُثْبِتُ الْمَعْنَى كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَوْلُهُ ثَابِتٌ عَنْ شَيْخِهِ رَبِيعَةَ الرَّأْيِ، وَبِضَعْفٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَعَلَى هَذَا إِجْمَاعُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

لَمَّا سُئِلَ مَالِكٌ: كَيْفَ اسْتِوَاؤُهُ قَالَ: أَمَّا الِاسْتِوَاءُ فَغَيْرُ مَجْهُولٍ -الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ-، وَأَمَّا الْكَيْفُ فَغَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ.

وَإِذَا كَانَ النَّاسُ لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ اللَّهُ، فَكَيْفَ يُحِيطُونَ بِذَاتِهِ! وَكَيْفَ يُحِيطُونَ بِكَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ!

لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَسْنَا بِأَعْلَمَ بِاللَّهِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَلَسْنَا بِأَعْلَمَ بِاللَّهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَسْنَا بِأَعْلَمَ بِاللَّهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ صِفَاتِ رَبِّنَا.

قَالَ مَالِكٌ: الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ لُغَةً، فَقَدْ خَاطَبَنَا اللَّهُ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ؛ فَنَحْنُ نَفْهَمُ مَدْلُولَاتِ الْأَلْفَاظِ، وَنُثْبِتُ مَا أَثْبَتَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فِي آيَاتِهِ

الْكَرِيمَاتِ، فَأَثْبَتَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ صِفَةَ الِاسْتِوَاءِ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ مَعْنَى الِاسْتِوَاءِ، وَلَكِنَّنَا نَجْهَلُ الْكَيْفِيَّةَ.

فَقَالَ: أَمَّا الِاسْتِوَاءُ فَمَعْلُومٌ، وَأَمَّا الْكَيْفُ فَمَجْهُولٌ، وَأَمَّا السُّؤَالُ عَنْهُ فَبِدْعَةٌ، وَمَا أُرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ مَجْلِسِهِ -رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى مَالِكٍ وَعَلَى سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ-.

فَعَلَيْنَا أَنْ نَفْهَمْ هَذَا عَلَى وَجْهِهِ، وَأَنْ نَتَأَمَّلَ فِي آيَاتِ رَبِّنَا، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ الَّذِي لِأَجْلِهِ خَلَقْنَا.

وَبَعْدُ: فتِلْكَ نُبْذَةٌ مُخْتَصَرَةٌ مِنْ مُجْمَلِ مَا يَتَعَلَّقُ بِتَوْحِيدِ رَبِّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

فَإِذَا عَرَفْتَهَا كَانَتْ تَوْطِئَةً بَيْنَ يَدَيْ مَا يَأْتِي بَعْدُ مِنْ بَسْطٍ وَإِسْهَابٍ، وَكُلُّ مَا يَأْتِي إِنَّمَا هُوَ مُؤَسَّسٌ عَلَى ذَلِكَ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا وَحذِقْتَهُ فَإِنَّكَ تَسْتَطِيعُ بَعْدُ أَنْ تَتَوَغَّلَ فِي مَبْسُوطَاتِ الْعَقِيدَةِ وَكُتُبِ التَّوْحِيدِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ الصَّالِحِينَ، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْصِمُكَ وَيَرْعَاكَ، وَيَمُنُّ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ بِالتَّوْحِيدِ الْحَقِّ، وبِدَيْمُومَتِنَا عَلَيْهِ حَتَّى يَقْبِضَنَا اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَيْهِ.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْبِضَنا عَلَى التَّوْحِيدِ، وَأَنْ يَبْعَثَنَا عَلَيْهِ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنَا وَيَنْفَعَ إِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ .

فِي زُمْرَةِ مَنْ جَاءَ بِهِ ﷺ .

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

* * *

وَبَعْدُ؛ فَهَذِهِ رِسَالَةُ: «تَطْهِيرِ الْجَنَانِ عَنْ دَرَنِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرَانِ»، لِلْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ أَحْمَدِ بْنِ حَجَرٍ آل بُوطَامِي رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ كَانَ التَّعْلِيقُ عَلَيْهَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ، فِي ثَلَاثَةِ مَجَالِسَ فِي يَوْمَي الِاثْنَيْنِ وَالْأَرْبُعَاءِ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ وَالثَالثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، الْمُوَافِقَيْنِ لِلسَّابعِ وَالْعِشْرِينَ وَالتَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ دِيسَمْبر سَنَةَ عَشْرٍ وَأَلْفَيْنِ مِنَ التَّارِيخِ النَّصْرَانِيِّ، وَذَلِكَ بِالْمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ فِي سُبْكِ الْأَحَدِ مِنْ أَعْمَالِ مُدِيرِيَّةِ الْمُنُوفِيَّةِ بِمِصْرَ -حَفِظَهَا اللَّهُ وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ-، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وكتب

أبو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّد بْنُ سَعِيد رَسْلَان

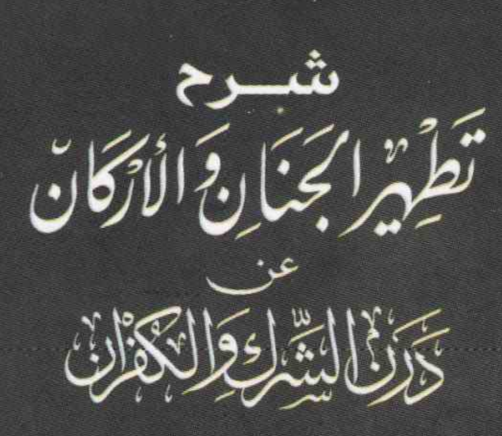
سُبْكُ الْأَحَدِ:

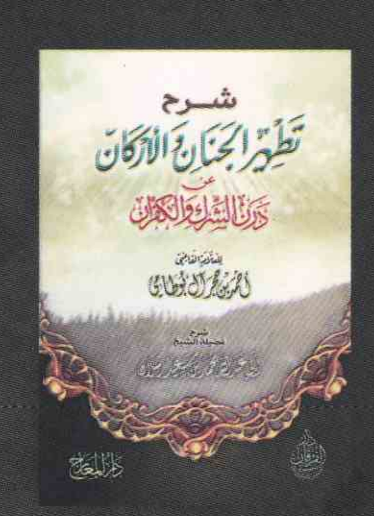
الْخَمِيس: ٥ من رَبِيعِ الثَّانِي ١٤٣٢

١٠ مِنْ مَارِس ٢٠١١

فِهرِس المَوْضُوعَات

* * *


شرح
تطهير الجنان والأركان
عن
درن الشرك والكفران


شرح
تطهير الجنان والأركان
عن
درن الشرك والكفران
دار المعراج

دار المعراج